من تراث الكوثري

(٦)

مناقب الإمام أبي حنيفة
وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن

للامام الحافظ ابى عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبى
المتوفى سنة ٧٤٨ قدس الله سره

قدم له وعلق عليه فضيلة أستاذنا العلامة
محمد زاهد بن الحسن الكوثري
وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف ت: ٥١٢٠٨٤٧

من تراث الكوثري
٧

مناقب
الإمام أبي حنيفة
وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن

للامام الحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى
المتوفى سنة ٧٤٨ قدس الله سره

قدم له وعلق عليه فضيلة أستاذنا العلامة
محمد زاهد بن الحسن الكوثري
وكيل المشيخة الاسلامية فى الخلافة العثمانية سابقاً

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف ت: ٥١٢٠٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

الحمد لله الذى شرف العلماء من عباده بكريم خطابه « انما يخشى الله من عباده العلماء » و « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ». وأكرم أولياءه منهم بمزيد كرمه وألطافه حيث قال تعالى : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى ميز علماء أمته بقـوله : « من يرد الله به خيراً يفقهـه فى الدين » وعلى آله الطيبين الطاهـرين الأكرمين ، وصحبه القادة الســادة البررة المتقين .

أما بعـد ، فقد كنت منذ رأيت كلمة الذهبى فى « تذكرة الحفاظ » عند ترجمته لأبى حنيفة فى عداد الحفاظ (١ ـ ١٦٠) : « مناقب هـذا الامام قد أفردتها فى جزء » وكلمته فيها عند ترجمته لصاحبه أبى يوسف فى عدادهم أيضـا (١ ـ ٢٧٠) : « قد أفردته وأفردت صـاحبه محمد ابن الحسن رحمهما الله فى جزء » لم أزل مشمراً عن سـاق الجـد فى البحث عن تلك الأجزاء المفردة للذهبى فى تراجم أئمتنـا فقهاء الملة : أبى حنيفة النعمـان بن ثابت الكوفى ، وأبى يوسف يعقـوب بن ابراهيم الأنصارى ، وأبى عبد الله محمـد بن الحسن الشـيبانى رضى الله عنهم وأرضاهم ، الى أن أظفرنى الله سبحانه بالجزء الخاص بمناقب أبى حنيفة من بين تلك الأعلاق النفيسـة ، فى مكتبة العلامة الكبير الشيخ محمـد سعيد الشافعى المدراسى ـ مفتى العدالة العالية بحيدر آباد الدكن سابقاً تغمده الله برضوانه ـ وهى من أغنى مكتبات حيدر آباد ؛ فيها نوادر كثيرة من كتب الحديث والفقه فاغتنمنا ذلك ونسخناه لنشره بمعرفة لجنتنا « لجنة احياء المعارف النعمانية » كما أظفرنى بالجزء الخاص بالصاحبين أبى يوسف ومحمد رحمهما الله عند صديقنا الأستاذ محمد زاهد الكوثرى من مشايخ العلم فى دار الخلافة العثمانية سـابقا ، كان نسـخه من نسخة مكتوبة فى القرن الثامن ، ضمن مجموعة اشـتراها صديقه المغفور له

السيد محمد أمين الخانجي الكتبي المشهور من بيت السقطي بصالحية دمشق الشام ، حيث كان أعاره تلك المجموعة سنة ١٣٤٧ هـ قبل أن يبعث بها الى الغرب ، وكان هذا توفيقاً من الله جل شأنه ، وكان الجزء الخاص بأبي حنيفة مملوءاً بالأغلاط ، فبعثنا به الى الأستاذ الكوثري بمصر ليصححه ويعلق عليه بالتماس اللجنة ، مع طلب الجزء الخاص بالصاحبين منه حفظه الله بالتعليق عليه أيضاً ، فقام باسعاف المرجو ، كما يراه القارىء ، وأهدى الجزء الى اللجنة ، جعل الله سعيه مشكوراً ، ومتع المسلمين بطول حياته . فما كان ساقطاً من الأصل زدت فيه بين مربعين من كتاب فضائل أبي حنيفة وأصحابه للحافظ ابن أبي العوام ، لأن أكثر ما في الأصل مأخوذ منه بلفظه ، ولم إنبه عليه ، وما زيد فيه من غيره نبهت عليه بالهامش ، وتعليقات الأستاذ محمد الزاهد الكوثري مرموز اليها بحرف (ز) في آخرها .

أما ترجمة مصنف المناقب فهو ــ كما ذكرها الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسيني الدمشقي في ذيل تذكرة الحفاظ ــ « الشيخ الامام العلامة شيخ المحدثين قدوة الحفاظ والقراء محدث الشام ومؤرخه ومفيده شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الفارقي الأصل الدمشقي الشافعي المعروف بالذهبي مصنف الأصل ــ يعني تذكرة الحفاظ ــ ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة بدمشق ، وسمع الحديث في سنة اثنتين وتسعين وهلم جرا ، وسمع بدمشق من أبي حفص عمر بن القواس وأبي الفضل بن عساكر وخلق ، وبمصر الأبرقوهي ، وبالقاهرة الدمياطي ، وبالثغر الغرافي ، وببعلبك التاج عبد الخالق ، وبحلب سنقر الزيني ، وبنابلس العماد بن بدران ، وبمكة التوزري ، وأجاز له خلق من أصحاب ابن طبرزذ والكندي وحنبل وابن الخرستاني وغيرهم من شيوخه في معجمه الكبير ، وهم أزيد من ألف ومئتي نفس بالسماع والاجازة ، وخرج لجماعة من شيوخه وجرح وعدل ، وفرع وصحح وعال واستدرك ، وأفاد وانتقى ، واختصر كثيراً من تآليف المتقدمين

والمتأخرين ، وكتب علماً كثيراً ، وصنف الكتب المفيدة ، فمن أكبرها « تاريخ الاسلام(١) » ومن أحسنها « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » وفي كثير من تراجمه اختصار يحتاج الى تحرير ، ومصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المائة ، وقد سار بجملة منها الركبان ، في أقطار البلدان ، كان أحد الأذكياء المعدودين ، والحفاظ المبرزين ، ولي مشيخة الظاهرية قديماً ، ومشيخة النفيسية والفاضلية والتنكزية ، وأم الملك الصالح . ولم يزل يكتب وينتقي ويصنف حتى أضر في سنة احدى وأربعين ، ومات ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق ، ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى ، وكان قد جمع القراءات السبع على الشيخ أبي عبد الله بن جبريل المصري نزيل دمشق ، فقرأ عليه ختمة جامعة لمذاهب القراء السبعة بما اشتمل عليه كتاب التيسير لأبي عمرو الداني ، وكتاب حرز الأماني لأبي القاسم الشاطبي ، وحمل عنه الكتاب والسنة خلائق ، والله تعالى يغفر له » انتهى ما قاله الحسيني بلفظه .

قلت : ومن تصانيفه التاريخ الأوسط والصغير ، وقد طبع بدائرة المعارف بحيدر آباد الدكن ، وسير النبلاء(٢) وطبقات الحفاظ ، وطبع بدائرة المعارف مرتين ، ومختصر تهذيب الكمال المعروف بالتذهيب ، والكاشف مختصر ذلك ، والمجرد في أسماء رجال الكتب الستة ، والتجريد في أسماء الصحابة ، وطبع بدائرة المعارف ، والميزان وطبع بالهند وبمصر ، والمغني في الضعفاء ، ومشتبه النسبة ، وطبع بأوربا ، ومختصر الأطراف لشيخه المزي ، وتلخيص المستدرك مع تعقبه عليه ، وطبع بدائرة المعارف في ذيل مستدرك الحاكم ، ومختصر المحلى ، ومهذب سنن البيهقي ، وغير ذلك . وله معجم كبير وصغير ، وكتاب العلو ، وطبع

---

(١) في مكتبة أحمد الثالث في طوبقبو في اسطنبول نسخة في ٢٣ مجلداً (ز) .
(٢) في مكتبة أحمد الثالث في ١٩ مجلداً (ز) .

بالهند وبمصر وفيه مآخذ ، وزغل العلم ، وطبع بمصر مع تعليق عليه للأستاذ الكوثري حفظه الله . وقال السيوطي : في ذيل طبقات الحفاظ : « ان المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على اربعة : المزي ، والذهبي ، والعراقي ، وابن حجر ، ثم قال : ورثاه التاج السبكي بقصيدة أولها :

« من للحديث وللسارين في الطلب	من بعد موت الامام الحافظ الذهبي
من للرواية والاخبار ينشرها	بين البرية من عجم ومن عرب
من للدراية والآثار يحفظها	بالنقد من وضع أهل الغي والكذب
من للصناعة يدري حل معضلها	حتى يريك جلاء الشك والريب

ومنها :

هو الامام الذي روت روايته	وطبق الأرض من طلابه النجب
ثبت صدوق خبير حافظ يقظ	في النقل أصدق أنباء من الكتب
الله اكبر ما أقرا وأحفظه	من زاهد ورع في الله مرتقب »(١)

هذا وقد تم نشر هذا المجموع النفيس ، تحت ظلال مولانا الملك الجليل المعلن ، الذائع صيت فضله في كل مكان ، صاحب الجلالة : السلطان ابن السلطان ، سلطان العلوم ، مظفر الممالك ، شمس الملة والدين ، آصف جاه السابع ، مير عثمان علي خان بهادر ، لازالت مملكته رافلة في حلل العز والارتقاء ما توالى الملوان ، وكان ذلك باذن لجنة احياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن حرسها الله عن الشرور والفتن في شهر ذي القعدة الحرم من سنة ١٣٦٦ هـ ولله الحمد والمنة .

---

(١) هذا ما قاله ابن السبكي في الذهبي بعد موته تحت تأثير هذا الموقف الرهيب ولم يمنع ذلك أن يبدي رأيه في الذهبي نفسه منتقداً اياه في مواضع من طبقات الشافعية كما فعل مثل ذلك الذهبي عند موت ابن تيمية مع كونه ينتقده من نواح سامحهم الله وايانا بمنه وكرمه . وفي تكملة الرد على نونية ابن القيم (١٧٧ و ١٨١) نماذج من هذا وذاك (ز) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال . وصلى الله على محمد افضل الرجال .

أما بعد فهذا كتاب فى أخبار فقيه العصر وعالم الوقت :

ابى حنيفة ، ذى الرتبة الشريفة ، والنفس العفيفة ، والدرجة المنيفة : النعمان بن ثابت بن زوطى(١) مفتى أهل الكوفة . ولد رضى الله عنه وأرضاه ، وانفذ ما أوضحه من الدين الحنيفى وأمضاه ، فى سنة ثمانين(٢) فى خلافة عبد الملك بن مروان بالكوفة ، وذلك فى حياة جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، وكان من التابعين لهم ان شاء الله باحسان ،

---

(١) زوطى ليس بوالد ثابت مباشرة بل بينهما النعمان بن المرزبان وابو زوطى ماه ، كما نص على ذلك الامام مسعود بن شيبة فى التعليم ، وهو الموافق لما صح عن اسماعيل بن حماد (ز) .

(٢) هذا اختيار منه لاحدث الروايات المختلفة اخذاً بالاحوط كما جرى عليه الاكثرون ، لكن هذا اذا لم يترجح سواه بدليل . ففى رواية ابن ذواد : كان ميلاده سنة ٦١ هـ . وفى انساب السمعانى فى الخزاز سنة سبعين ، ومثله فى كتاب الجرح والتعديل لابن حبان وفى روضة القضاة لابى القاسم السمنانى المعاصر للخطيب البغدادى ، ويؤيد الاخير عد الحافظ محمد بن مخلد العطار رواية حماد بن ابى حنيفة عن مالك من رواية الاكابر عن الاصاغر ، واهتمام ابى حنيفة بمن يخلف النخعى بعد أن برع فى علم الكلام . قال العقيلى فى الضعفاء : حدثنا احمد بن محمد الهروى ، قال : حدثنا محمد بن المغيرة البلخى ، قال : حدثنا اسماعيل بن ابراهيم ، قال حدثنا محمد بن سليمان الاصفهانى ، قال : لما مات ابراهيم اجتمع خمسة من اهل الكوفة فيهم عمر بن قيس الماصر وابو حنيفة فجمعوا اربعين الف درهم وجاءوا الى الحكم بن عتيبة فقالوا : انا قد جمعنا اربعين الف درهم نأتيك بها وتكون رئيسنا فى الارجاء فابى عليهما الحكم ، فأتوا حماد بن ابى سليمان فقالوا له فاجابهم واخذ الاربعين الف درهم اهـ . والارجاء الذى ينسب اليه هو ارجاء السنة المشروح فى « الرفع والتكميل » للكنوى . وكذلك روايته عن عدة من الصحابة رضى الله عنهم كما بينت فى التانيب وفيما علقت على الانتصار والترجيح لسبط ابن الجوزى ، وكل ذلك ما كان يصح لولا تقدم ميلاده على سنة ثمانين والله اعلم (ز) .

فانه صح أنه رأى(١) انس بن مالك اذ قدمها أنس رضى الله عنه . قال محمد بن سعد : حدثنا سيف بن جابر انه سمع أبا حنيفة يقول : رأيت أنساً رضى الله عنه . وقال : يعقوب بن شيبة السدوسى : أبو حنيفة مولى لبنى تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل . وقال أبو خازم عبد الحميد القاضى : سألت ابن اسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة : لمن ولاؤكم ؟ فقال : سبى ثابت ابو ابى حنيفة من كابل فاشترته امرأة من بنى تيم الله ابن ثعلبة فأعتقته(٢) . وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : كان أبو حنيفة حسن الوجه واللحية حسن الثياب . وقال عبد الوهاب(٣) بن زياد

---

(١) بل فى جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١ ـ ٤٥) : روايته عن ابن جزء الصحابى ، ولأهل العلم بالحديث عدة أجزاء فى رواية أبى حنيفة عن عدة من الصحابة رضى الله عنهم ، فجزء أبى حامد محمد ابن هارون الحضرمى ، وجزء أبى الحسين علي بن أحمد بن عيسى ، وجزء أبى معشر عبد الكريم الطبرى فى ذلك من مرويات ابن حجر فى « المعجم المفهرس » والشمس ابن طولون فى « الفهرست الأوسط » وجزء أبى بكر عبد الرحمن بن محمد بن احمد السرخسى مما رواه سبط ابن الجوزى فى « الانتصار والترجيح » (ز) . . . .

(٢) ابن اسماعيل فى سنده مجهول متأخر الطبقة فلا يناهض قوله قول اسماعيل نفسه وقول الامام نفسه (أبو الوفاء) . ابن اسماعيل مجهول العين والصفة فلا تثبت روايته ، على أنها تخالف رواية اسماعيل ابن حماد نفسه المدونة فى كتاب الصيمرى وتاريخ الخطيب حيث قال اسماعيل فيهما « أنا اسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان ابن المرزبان من ابناء فارس الأحرار ، والله ما وقع علينا رق قط . . . » بل كان ولاء أبى حنيفة لتيم الله بن ثعلبة ولاء الموالاة . قال الطحاوى فى مشكل الآثار (٤ ـ ٥٤) : سمعت بكار بن قتيبة يقول : « قال ابن عبد الرحمن المقرى : أتيت أبا حنيفة فقال لى من الرجل ؟ فقلت : رجل من الله عليه بالاسلام . فقال لى « لا تقل هكذا ولكن وال بعض هذه الأحياء ثم انتم اليهم فانى كنت أنا كذلك » ومثله فى رواية ابن أعين عن احمد بن منصور الرمادى عن المقرى وزاد فى رواية يعقوب بن شيبة عند ابن أبى العوام « فوجدتهم حى صدق » فعلم من ذلك أن ولاء أبى حنيفة لتيم الله بن ثعلبة لم يكن باسلام أحد أجداده على يد أحد من بنى تيم الله ولا باعتاق أحدهم لأحد أجداد أبى حنيفة فيكون ولاؤه ولاء موالاة لا ولاء اسلام ولا ولاء اعتاق ، فتذهب الروايات المختلفة فى انتقاصه بنسبة أدراج الرياح هكذا ، على أن العبرة بالتقى والعلم (ز) .

(٣) وفى كتاب ابن أبى العوام (عبد الواحد) وهو الصواب (ز) .

رأيت أبا حنيفة بالكوفة وعليه طويلة(١) سوداء . وقال على بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة الكوفى بمصر : سمعت أبى يقول : رأيت شيخاً فى مسجد الكوفة يفتى الناس [وعليه قلنسوة طويلة] فقلت من هذا ؟ قالوا : أبو حنيفة . قال قاضى مصر أبو القاسم عبد الله بن محمد ابن أحمد بن يحيى بن الحارث بن أبى العوام السعدى فى كتاب فضائل أبى حنيفة ، وهو مجلد واحد : حدثنى ابراهيم بن أحمد بن سهل الترمذى ثنا القاسم بن غسان القاضى ثنا أبى أنا جدى أبو غسان أيوب ابن يونس سمع النضر بن محمد يقول : كان أبو حنيفة جميل الوجه ، سرى الثوب ، عطراً ، ولقد أتيته فى حاجة فصليت معه الصبح ، وعلى كساء قومسى فأمر باسراج بغله وقال : أعطنى كساءك [لأركب فى حاجتك وهذا] كسائى [الى أن أرجع] ففعلت ، فلما رجع قال : يا نصر أخجلتنى بسائك . قلت : وما أنكرت منه ؟ قال : هو غليظ . قال النضر : وكنت اشتريته بخمسة دنانير ، وأنا به معجب ، ثم رأيته بعد هذا وعليه كساء قومسى قومته بثلاثين ديناراً .

من اخلاقه وورعه

روى الحسن بن اسماعيل بن مجالد عن أبيه قال : كنت عند الرشيد [اذ دخل عليه أبو يوسف فقال له هارون] : صف لى أخلاق أبى حنيفة . قال : كان والله شديد الذب(٢) عن حرام الله ، مجانباً لأهل الدنيا ،

---

(١) وهى قلنسوة كانت تلبس فى المواقف الرسمية ، وفيها يقول أبو عمرو يوسف بن هارون الكندى :

ونادى بالطويلة وهى مما ... يكون برأسه لجليل أمر

كما فى كشف الطرة للآلوسى (ص ٢٨٤) وكان شيخه حماد بن أبى سليمان يلبسها أيضاً (ز) .

(٢) وفى كتاب الحافظ ابن أبى العوام : فقال يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل : « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » وهو عند لسان كل قائل ، كان والله أبو حنيفة علمى به شديد الذب عن حرام الله الى آخره ، ونحوه عند الامام الموفق فى مناقب أبى حنيفة (١ ــ ٢٠٦) الا انه =

طويل الصمت ، دائم الفكر ، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً(١) أن سئل عن مسألة كان عنده منها علم أجاب فيها ، وما علمته يا أمير المؤمنين الا صائناً لنفسه ودينه [مشتغلا بنفسه عن الناس(٢)] لا يذكر أحداً الا بخير . فقال الرشيد : هذه أخلاق الصالحين . وقال القاسم بن غسان : سمعت اسحاق بن أبي اسرائيل يقول : ذكر قوم أبا حنيفة عند ابن عيينة فتنقصه بعضهم فقال سفيان : مه ! كان أبو حنيفة أكثر الناس صلاة ، وأعظمهم أمانة ، وأحسنهم مروءة . وروى عن شريك قال : كان أبو حنيفة طويل الصمت ، دائم الفكر ، كبير العقل ، قليل المحادثة للناس . وقال الحسن بن اسماعيل بن مجالد : سمعت وكيعاً يقول : قال الحسن بن صالح بن حيي : كان أبو حنيفة شديد الخوف لله ، هائباً للحرام أن يستحيل . وعن بشر بن يحيى : سمعت ابن المبارك يقول : ما رأيت رجلا أوقر في مجلسه ، ولا أحسن سمتاً وحلماً من أبي حنيفة، ولقد كنا عنده [في المسجد الجامع] فوقعت حية من السقف في حجره فما زاد على أن نفض حجره فألقاها وما منا أحد الا هرب . وعن اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال : لما حذق أبي حماد قراءة الفاتحة أعطى أبو حنيفة المعلم خمسمائة درهم . وقد ورد في كرم أبي حنيفة وأفضاله أخبار عديدة . وقال ابراهيم بن سعيد الجوهري : ثنا المثنى بن رجاء ، قال : جعل أبو حنيفة على نفسه ان حلف بالله صادقاً في عرض حديثه أن يتصدق بدينار(٣) فكان اذا حلف تصدق بدينار ، وكان اذا

= رواه من طريق أبي عبد الله الصيمري عن أحمد بن المغلس عن ابراهيم بن سعيد الجوهري قال : كنت عند أمير المؤمنين الرشيد اذ دخل أبو يوسف. الحديث بطوله وفيه « عن محارم الله » (أبو الوفاء) .

(١) يقال : رجل ثرثار مهذار بمعنى كثير الكلام كما في الأساس .

(٢) وما بين المربعات في هذه الصفحة وغيرها مزيدة من ابن أبي العوام حيث كان أصل الرواية من عنده (ز) .

(٣) وفي كتاب ابن أبي العوام : « بدرهم ثم بربع دينار ثم بدينار » متدرجاً . وفي لفظ روايته طول ، وقد اختصره الذهبي كما ترى ، وعادته في غالب الروايات الاختصار في هذا الكتاب (ز) .

أنفق على عيـاله نفقة تصـــدق بمثلها . وقال أبو بكر بن عياش : لقى أبو حنيفة من الناس عنتاً لقلة مخالطته الناس فكانوا يرونه من زهو فيه ، وانما كان ذلك منه غريزة فيه . وقال جبارة بن المغلس : سمعت قيس ابن الربيع يقول : كان أبو حنيفة ورعا تقياً ، مفضلا على اخوانه . وقال لوين : سمعت محمد بن جابر يقول : كان أبو حنيفة قليل الكلام الا بما يسـأل عنه ، قليل الضحك ، كثير الفكر ، دائم القطوب كأنه حديث عهد بمصيبة . وقال زيد بن أخزم : سمعت الخريبى يقول : كنا عند أبى حنيفة فقال له رجل : انى وضعت كتاباً على خطك الى فلان فوهب لى أربعة آلاف درهم ، فقال أبو حنيفة : ان كنتم تنتفعون بهذا فافعلوا . ورواها الطحاوى عن أبى خازم القاضى عنه .

شـيوخ أبى حنيفة وأصـحابه

تفقه بحماد بن أبى سليمان صاحب ابراهيم النخعى وبغيره وقال : اختلفت الى حماد خمس عشرة(١) سنة . وفى رواية أخرى عنه قال : صحبته عشرة(١) أعوام أحفظ قوله وأسمع مسـائله . وسمع الحديث من عطاء بن أبى رباح بمكة ، وقال : ما رأيت أفضل من عطاء . وسمع من عطية العوفى ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وعكرمة ، ونافع ، وعدى ابن ثابت ، وعمرو بن دينار ، وسـلمة بن كهيل ، وقتـادة بن دعامة ، وأبى الزبير ، ومنصور ، وأبى جعفر محمـد بن على بن الحسين ، وعدد كثير من التابعين .

تفقه به جمـاعة من الكبار ، منهم زفر بن الهـذيل ، وأبو يوسف القاضى ، وابنه حماد بن أبى حنيفـة ، ونوح بن أبى مريم المعروف بنوح الجامع ، وأبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخى ، والحسن بن زياد اللؤلؤى ،

---

(١) كلاهما وهم ظاهر ففى تاريخ الخطيب بسنده (١٣ ـ ٣٣٣) : ما معناه أنه صحبه عشر سـنين ثم ظن استغناءه عنه أياما لكنه عاد اليه عما قليل فلازمه الى أن مات ثم صرح أنه لازمه الى موته ثمانى عشرة سنة بل الصواب أنه اتصل به فى عهد النخعى فلازمه الى وفاته سنة عشرين ومائة هـ كما يظهر من اعتنائه عند وفاة النخعى بمن يخلفه على ما ذكره العقيلى (ز) .

ومحمد بن الحسن ، وأسد بن عمرو القاضي . وروى عنه من المحدثين والفقهاء عدة لا يحصون ، فمن أقرانه مغيرة بن مقسم ، وزكريا بن أبى زائدة ، ومسعر بن كدام ، وسفيان الثورى ، ومالك بن مغول . ويونس بن أبى اسحاق . وممن بعدهم زائدة ، وشريك ، والحسن بن صالح ، وأبو بكر بن عياش ، وعيسى بن يونس ، وعلى بن مسهر ، وحفص بن غياث ، وجرير بن عبد الحميد ، وعبد الله بن المبارك ، وأبو معاوية ، ووكيع ، والمحاربى ، وأبو اسحاق الفزارى ، ويزيد بن هارون ، واسحاق [بن يوسف] الأزرق ، والمعافى بن عمران ، وزيد بن الحباب ، وسعد بن الصلت ، ومكى بن ابراهيم ، وأبو عاصم النبيل ، وعبد الرزاق بن همام ، وحفص بن عبد الرحمن السلمى ، وعبيد الله بن موسى ، وأبو عبد الرحمن المقرىء ، ومحمد بن عبد الله الأنصارى ، وأبو نعيم ، وهوذة بن خليفة ، وأبو أسامة ، وأبو يحيى الحمانى ، وابن نمير ، وجعفر بن عون ، واسحاق بن سليمان الرازى ، وخلائق(١) .

عبادة أبى حنيفة

قد تواتر قيامه الليل وتهجده وتعبده رحمه الله تعالى . قال يعقوب ابن شيبة : حدثنى بكر ، سمعت أبا عاصم النبيل يقول : كان أبو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته . وقال حريث بن أبى الورقاء : سمعت على بن اسحاق السمرقندى سمعت أبا يوسف يقول : كان أبو حنيفة يختم القرآن فى كل ليلة فى ركعة . هذه حكاية جريبة والمحفوظ ما رواه بشر بن الوليد الكندى عن أبى يوسف قال : كنت أمشى مع أبى حنيفة اذ سمعت رجلا يقول لآخر : هذا أبو حنيفة لا ينام الليل . فقال أبو حنيفة : والله لا يتحدث عنى بما لا أفعل ! فكان يحيى الليل صلاة ودعاء وتضرعا . وروى حبان بن بشر عن حكام بن سلم عن أبى سفيان قال : كنا نختلف

---

(١) والذين ذكرهم الحافظ أبو الحجاج المزى وحده فى « تهذيب الكمال » من الرواة عن أبى حنيفة يقاربون مائة شخص ، مع أنه لم يستقص ولا قارب بل تبلغ أصحابه ألوفا (ر) .

الى عمرو بن مرة فكان ابو حنيفة يصلى العشاء والفجر بطهر واحد. وروى يحيى الحمانى عن أبيه أنه قال: صحبت أبا حنيفة ستة أشهر فما رأيته صلى الغداة إلا بوضوء العشاء الآخرة، وكان يختم القرآن كل ليلة عند السحر. وقال ابراهيم بن سعيد الجوهرى: ثنا المثنى بن رجاء عن أم حميد حاضنة ولد أبى حنيفة قالت: قالت أم ولد أبى حنيفة: ما توسد أبو حنيفة فراشا بليل منذ عرفته، وانما كان نومه بين الظهر والعصر فى الصيف وبالليل فى مسجده أول الليل فى الشتاء. وعن أبى عبد الرحمن المقرىء قال: لو رأيت أبا حنيفة يصلى علمت أن الصلاة من همه. وقال جبارة بن المغلس: سمعت الحسين الجعفى (١) وسأله رجل: أكان أبو حنيفة يؤمن بالبعث؟ فقال: أخبرنى من شهده وهو يردد هذه الآية « فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم » وهو يبكى ويقول: اللهم من علينا وقنا عذاب السموم يارحيم. وعن سلم بن سالم البلخى عن أبى الجويرية قال: صحبت أبا حنيفة ستة أشهر فما رأيته ليلة واحدة وضع جنبه. وقال ابن أبى العوام القاضى فى فضائل أبى حنيفة: ثنا الطحاوى، ثنا أحمد بن أبى عمران، ثنا محمد بن شجاع عن الحسن بن زياد عن أبى حنيفة قال: ربما قرأت فى ركعتى الفجر حزبين من القرآن. قال على بن حفص البزار: سمعت حفص بن عبد الرحمن، سمعت مسعرا يقول: دخلت المسجد فرأيت رجلا يصلى فاستحليت قراءته فوقفت حتى قرأ سبعا فقلت يركع، ثم بلغ الثلث فقلت يركع، ثم بلغ النصف، فلم يزل على حاله حتى ختم القرآن فى ركعة فنظرت فاذا هو أبو حنيفة. (قال) ابراهيم بن رستم المروزى: سمعت خارجة ابن مصعب يقول: ختم القرآن فى ركعة [أربعة من الأئمة]: عثمان بن عفان، وتميم الدارى، وسعيد بن جبير، وأبو حنيفة رضى الله عنهم. وعن يحيى بن نصر قال: ربما ختم أبو حنيفة القرآن فى رمضان ستين

---

(١) حسين بن على بن الوليد الجعفى مولاهم أبو محمد المقرىء الكوفى أحد الأعلام والزهاد. مات سنة ثلاث ومائتين هـ من رواة الصحاح الستة (أبو الوفاء).

مرة . محمد بن سماعة عن محمد بن الحسن عن القاسم بن معن ان أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى : « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » ويبكي ويتضرع الى الصباح . وقال محمد بن حماد بن المبارك المصيصي فى سيرة أبى حنيفة : قال محمد بن مليح(١)بن وكيع بن الجراح : ثنا يزيد بن كميت ، سمعت رجلا يقول لأبى حنيفة : أتق الله ! فانتفض واصفر وأطرق وقال : جزاك الله خيراً ، ما أحوج الناس كل وقت الى من يقول لهم هذا ! [وقال يزيد بن كميت] فتح غلام لأبى حنيفة يوماً رزمة خز فاذا الأخضر والأحمر والأصفر ، فقال الغلام : نسأل الله الجنة . فبكى أبو حنيفة حتى اختلج صدغاه ومنكباه وأمر بغلق الدكان وقام مغطى الراس مسرعاً ، فلما كان من الغد جلست اليه فقال : يا أخى ما أجرانا يقول أحدنا نسأل الله الجنة انما يسأل الله الجنة من راض نفسه ــ يعنى لها ــ انما يريد مثلنا أن يسأل الله العفو . وروى الخطيب فى تاريخه من جهة أسد بن عمرو قال : صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ، فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن فى ركعة(٢) ، وكان يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه ، وحفظ عليه أنه ختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف مرة(٣) . أخبرنى بهذا المسلم بن علان اجازة ، أنا أبو اليمن الكندى ، أنا أبو منصور الشيبانى ، أنبأ أبو بكر الخطيب ، أنا على بن المحسن ، أنا أحمد بن محمد ابن يعقوب الكاغذى ، ثنا عبد الله بن محمد الحارثى ببخارى ، أنبأ أحمد ابن الحسين البلخى ، ثنا حماد بن قريش ، سمعت أسد بن عمرو فذكره . وقال مسعر بن كدام : رأيت أبا حنيفة قرأ القرآن فى ركعة . وعن ابن المبارك قال : مكث أبو حنيفة مدة يصلى الخمس بوضوء واحد .

---

(١) هكذا فى الأصل ولعل الصواب (عن) حيث يبعد سماع حفيد وكيع من يزيد بن كميت (ز) .

(٢) فى سند هذا الخبر أحمد بن الحسين البلخى وحماد بن قريش وهما من المجاهيل فلا يثبت خبرهما بل فى الخبر نفسه ما يكذبه (ز) .

(٣) لا يصح هذا لأنه لم يكن يسكن بغداد وانما أشخص من الكوفة الى بغداد وكان بها فى السجن مدة (أبو الوفاء) .

وقال بعضهم : قال حماد بن أبى حنيفة : لما غسل الحسن بن عمارة أبى قال : غفر الله لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة ، ولم تتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة ، ولقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء . وقال حامد بن آدم المروزى : سمعت ابن المبارك يقول : ما رايت أورع من أبى حنيفة ، وقد جرب بالسياط والأموال . [وقال محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة : ثنا [جدى ، أخبرنى] عبد الله بن الحسن بن المبارك عن اسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة قال : مررت مع أبى بالكناسة فبكى . فقلت له : يا أبت ما يبكيك ؟ قال : يابنى فى هذا الموضع ضرب ابن هبيرة حدك عشرة أيام فى كل يوم عشرة أسواط على أن يلى القضاء فلم يفعل . [وقال أحمد بن منصور] الرمادى : ثنا عبد الرزاق . قال : ما رايت أحداً أحلم من أبى حنيفة ، كنا جلوساً معه فى مسجد الخيف فسأله رجل عن مسألة فأفتاه ، فقال الرجل : قال الحسن البصرى كذا وكذا . فقال [أبو حنيفة] : أخطأ الحسن ، فجاء رجل مغطى الوجه فقال : يا ابن الفاعلة تقول أخطأ الحسن ! فهم الناس به فقال [أبو حنيفة] : أقول أخطأ الحسن وأصاب ابن مسعود . قال محمد بن مليح بن(1) وكيع : ثنا يزيد بن كميت ، سمعت أبا حنيفة وشتمه رجل واستطال عليه وقال له : يا كافر يا زنديق . فقال أبو حنيفة : غفر الله لك هو يعلم منى خلاف ما تقول . [قال] ابراهيم بن عبد الله الهروى : سمعت يزيد بن هارون يقول : ما رايت أحداً أحلم من أبى حنيفة . الواقدى : ثنا القاسم بن معن قال أخذ ابن هبيرة أبا حنيفة فأراده على ولاية القضاء فأبى فحبسه ، فقيل لأبى حنيفة أنه حلف أن لا يخرجك حتى تلى له ، وأنه يريد بناء ، فتولى له عد اللبن . فقال : لو سألنى أن أعد له أبواب المسجد لم أفعل . وقال على بن معبد بن شداد : ثنا عبيد الله بن عمرو الرقى قال : ضرب ابن هبيرة أبا حنيفة على أن يلى القضاء فأبى ، فقال الناس : استتابه . وذكر أبو حنيفة [عند ابن المبارك] فقال : ماذا يقال فى رجل عرضت عليه

---

(1) ولعل الصواب (عن) كما سبق (ز) .

الدنيا والأموال فنبذها ، وضرب بالسياط فصبر عليها ، ولم يدخل فيما كان غيره يستدعيه ! محمد بن شجاع الثلجي : حدثني حبان رجل من أصحاب أبي حنيفة قال : قال ابو حنيفة حين ضرب ليلي القضاء : ما أصابني في ضربي شيء اشد على من غم والدتي وكان بها برا . يعقوب بن شيبة : ثنا عبد الله بن الحسن بن المبارك ، نا بشر بن الوليد قال : أشخص المنصور أبا حنيفة فأراده على أن يوليه فأبى فحلف عليه ليفعلن وحلف ابو حنيفة ان لا يفعل . فقال الربيع الحاجب : الا ترى أمير المؤمنين يحلف ؟ قال : امير المؤمنين على كفارة أيمانه اقدر مني . فأبى أن يلي ، فأمر به الى السجن فمات فيه ، ودفن في مقابر الخيزران . رواها يعقوب بن شيبة عن بشر ، ورواها أيضاً ابراهيم بن ابي اسحاق الزهري الكوفي عن بشر ، فزاد فيها : فسجن ثم دفعه الى حميد الطوسي شرطبه فأراد أن يؤذيه فقال : يا شيخ ان امير المؤمنين يدفع الى الرجل ويقول لي اقتله او اقطعه أو أضربه ولا علم لي بقصته ؟ فقال أبو حنيفة : هل يأمرك امير المؤمنين بأمر قد وجب أو بأمر لم يجب ؟ قال : بل بما قد وجب . قال : فاذا أمرك بقتل واجب أو ضرب متعين فبادر اليه فانك ماجور في ذلك . يحيى الحماني عن أبيه قال : كان أبو حنيفة يضرب على أن يلي القضاء فيأبى ، ولقد سمعته يبكي وقال : أبكي غما على والدتي ! وعن مغيث بن بديل قال : دعا أبو جعفر أبا حنيفة الى القضاء فامتنع فقال : أترغب عما نحن فيه ؟ فقال : لا أصلح للقضاء . قال له : كذبت . قال : قد حكم على أمير المؤمنين اني لا أصلح لأنه نسبني الى الكذب ، فان كنت كاذباً فلا أصلح ، وان كنت صادقاً فقد أخبرتك اني لا أصلح . فحبسه . اسمعيل بن ابي اويس : سمعت الربيع بن يونس يقول : رايت المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء فقال : والله ما أنا بمأمون الرضا فكيف أكون بمأمون الغضب فلا أصلح لذلك . فقال : كذبت انت تصلح . قال : كيف يحل لك أن تولي من يكذب . قال أبو بكر الخطيب : وقيل انه ولي القضاء يومين [ولم يأته فيهما أحد ، وقضى في اليوم الثالث(١)]

---

(١) زيادة من تاريخ الخطيب (أبو الوفاء) .

فى قضية واحدة ، ثم اشتكى ستة أيام [ثم مات] . وقال أبو عبد الله الصيمرى الفقيه بسند له : لم يقبل أبو حنيفة العهد بالقضاء فضرب مائة سوط وحبس ومات فى السجن ، كذا قال . وقيل حملت اليه عشرة آلاف فوضعت له فى الدار فاغتم ولم ينطق ، ومكثت تلك البدرة فى مكانها ، فلما مات أبو حنيفة حملها ولده حماد الى الذى جاء بها وهو الحسن بن قحطبة فقال : هذه وديعتك . فنظر اليها الحسن وقال : رحم الله أباك ! لقد شح على دينه اذ شحت به أنفس أقوام . ويروى أن ابن هبيرة لما بلغه أن أبا حنيفة حلف أنه لا يتولى القضاء فقال : يعارض يمينى بيمينه ؟ ! فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه ، فقال : اذكر مقامك بين يدى الله فانه أذل من مقامى بين يديك ، فلا تهدر دمى فانى أقول لا اله الا الله . فأومأ الى الجلاد أمسك ، فأصبح أبو حنيفة فى السجن وقد انتفخ رأسه ووجهه من الضرب . وقيل غير ذلك . محمد بن على بن عفان العامرى : ثنا الوليد بن حماد اللؤلؤى ، ثنا الحسن ابن زياد اللؤلؤى ، سمعت أبا يوسف يقول : اجتمعنا عند أبى حنيفة فى يوم مطير فى نفر [من أصحابه] منهم داود الطائى ، والقاسم بن معن ، وعافية بن يزيد ، وحفص بن غياث [ووكيع بن الجراح ومالك ابن مغول] وزفر ، فأقبل علينا بوجهه وقال : أنتم مسار قلبى ، وجلاء حزنى ، وأسرجت لكم الفقه وألجمته ، وقد تركت الناس يطؤون أعقابكم ، ويلتمسون ألفاظكم ، ما منكم واحد الا وهو يصلح للقضاء ، فسألتكم بالله وبقدر ما وهب الله لكم من جلالة العلم لما صنتموه عن ذل الاستئجار ، وان بلى أحد منكم بالقضاء فعلم من نفسه خربة سترها الله عن العباد لم يجز قضاؤه ، ولم يطب له رزقه ، فان دفعته ضرورة [الى الدخول فيه] فلا يحتجبن عن الناس(١) وليصل الخمس فى مسجده ، وينادى عند كل صلاة : من له حاجة ؟ فاذا صلى العشاء نادى ثلاثة أصوات : من له

---

(١) وعند ابن أبى العوام : فلا يجعلن بينه وبين الناس حجاباً . أبو الوفاء .

حاجة ؟ ثم دخل الى منزله ، فان مرض مرضاً لا يستطيع الجلوس معه أسقط من رزقه بقدر مرضه ، وأيما امام غل فيئاً أو جار في حكم بطلت امامته ولم نجز حكمه(١) . وعن الحسن بن زياد قال أبو حنيفة : اذا ارتشى القاضي فهو معزول وان لم يعزل .

ذكرى من وصفه بالفقه

عن الأعمش أنه سئل عن مسألة فقال : انما يحسن هذه النعمان ابن ثابت الخزاز ، وأظنه بورك له في علمه . يوسف بن موسى ، سمعت جريراً يقول : كان الأعمش اذا سئل عن الدقائق أرسلهم الى أبي حنيفة ، وقد قال مغيرة له : ألا تأتي أبا حنيفة . يحيى بن أكثم عن جرير قال : قال لي مغيرة : جالس أبا حنيفة تفقه فان ابراهيم لو كان حياً لجالسه . شبابه بن سوار قال : كان شعبة حسن الرأى في أبي حنيفة ، كثير الترحم عليه . عبيد الله بن موسى ، سمعت مسعراً يقول : رحم الله أبا حنيفة ان كان لفقيها عالماً . حسين الجعفي سمعت زائدة [بن قدامة] يقول : النعمان بن ثابت فقيه البدن ، لم يعد ما أدرك عليه أهل الكوفة . وعن أبي بكر بن عياش قال : كان النعمان بن ثابت أفقه أهل زمانه . أبو نعيم ، سمعت علي بن صالح بن حيي يقول لما مات أبو حنيفة : ذهب مفتي العراق وفقيهها . بشر الحافي ، سمعت عبد الله بن داود الخريبي يقول : اذا أردت الآثار فسفيان الثوري ، واذا أردت تلك الدقائق فأبو حنيفة . روح بن عبادة قال : كنت عند ابن جريج فقيل له : مات أبو حنيفة . فقال : رحمه الله لقد ذهب معه علم كثير . المثنى بن رجاء ، سمعت سعيد بن أبي عروبة يقول : كان أبو حنيفة عالم العراق . قال يزيد ابن هارون : أفقه من رأيت أبو حنيفة . وعن شداد بن حكيم : ما رأيت أعلم من أبي حنيفة في زمانه . الحلواني قلت لأبي عاصم النبيل : أبو حنيفة

---

(١) زاد ابن أبي العوام وان أذنت ذنباً بينه وبين ربه عز وجل يستوجب به الحد درىء عنه الحد لأنه ولى اقامته ، وان كان شيئاً بينه وبين الناس أقامه عليه أقرب القضاة اليه (أبو الوفاء) .

أفقه أو سفيان ؟ فقال : أبو حنيفة . عبد الرزاق قال : قال ابن المبارك : ان كان (الاحتياج) الى الرأى فهو أسدهم [رأياً] . وعن ابن المبارك قال : لولا أن الله قد أدركنى بأبى حنيفة وسفيان لكنت بدعيا . يحيى بن آدم ، سمعت الحسن بن صالح يقول : كان أبو حنيفة فهما بعلمه ، متثبتاً فيه ، اذا صح عنده الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعده الى غيره . المزنى وغيره ، سمعت الشافعى يقول : الناس عيال على أبى حنيفة فى الفقه . اسحاق بن بهلول ، سمعت ابن عيينة يقول : ما مقلت عينى مثل أبى حنيفة . ابراهيم بن عبد الله المروزى الخلال ، سمعت ابن المبارك يقول : كان أبو حنيفة آية . أحمد بن الصباح ، سمعت الشافعى يقول : قيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة؟ قال : نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته . أحمد بن(١) محمد بن مغلس : ثنا محمد بن مقاتل ، سمعت ابن المبارك يقول : ان كان الأثر قد عرف واحتيج الى الرأى فرأى مالك وسفيان وأبى حنيفة ، وأبو حنيفة أحسنهم وأدقهم فطنة وأغوصهم على الفقه وهو أفقه الثلاثة . سلامة بن شبيب ، سمعت عبد الرزاق ، سمعت ابن المبارك يقول : ان كان أحد ينبغى له أن يقول برأيه فأبو حنيفة . وقال حبان بن موسى : سئل ابن المبارك أمالك أفقه أم أبو حنيفة ؟ فقال :

---

(١) هو أحمد بن محمد بن الصلت بن المغلس الحمانى ، حدث عن ثابت بن محمد الزاهد ، وأبى نعيم الفضل بن دكين ، وعفان بن مسلم . وعنه أبو عمرو بن السماك ، وأبو على بن الصواف ، وأبو الفتح بن محمد ، قال الخطيب : بعض الناس يقولون : أحمد بن الصلت يضع الأحاديث . قال : توفى سنة ثمان وثلاثمائة هـ . أبو الوفاء .

وفى تاريخ الخطيب (٤ ــ ٢٠٩) : أخبرنا على بن المحسن التنوخى ، حدثنى أبى ، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدان بن الصباح النيسابورى بالبصرة ، حدثنا أبو على الحسن بن محمد الرازى ، قال : قال لى عبد الله ابن أبى خيثمة ، قال لى حمد بن أبى خيثمة : اكتب عن هذا الشيخ يا بنى فانه كان يكتب معنا فى المجالس منذ سبعين سنة ــ يعنى أحمد ابن الصلت بن المغلس الحمانى وقال الخطيب : فى اسناد هذه الحكاية غير واحد من المجهولين فلا أبعد أن تكون موضوعة . ثم أطال النفس فى توهين أمر ابن الصلت لهوى معروف فى الخطيب فى أبى حنيفة وأصحابه ، وقد أشبعت الكلام فى تمحيص هذا البحث فى تأنيب الخطيب (١٦٥ ــ ١٦٦) بما لا يتسع المقام لنقل ذلك فليراجع . (ز) .

أبو حنيفة . بشر الحاج قال : قال الخريبى : ما يقع فى أبى حنيفة الا جاهل أو حاسد . أو مسلم الكجى ، عن محمد بن سعد الكاتب عن الخريبى أنه قال : يجب على أهل الاسلام أن يدعوا الله لأبى حنيفة فى صلاتهم . وعن مكى بن ابراهيم : كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه . يحيى بن معين سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول : لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأى أبى حنيفة وقد أخذنا بأكثر أقواله . يحيى بن أبى طالب ، سمعت على بن عاصم يقول : لو وزن علم أبى حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح . طلق بن غنام النخعى سمعت حفص بن غياث يقول : كلام أبى حنيفة أدق من الشعر لا يعيبه الا جاهل . الحميدى ، سمعت سفيان بن عيينة يقول : شيئان ما ظننتهما أن يتجاوزا قنطرة الكوفة : قراءة حمزة ، ورأى أبى حنيفة وقد بلغا الآفاق .

ومن قوله فى الرأى

نعيم بن حماد ، سمعت أبا عصمة وهو نوح الجامع قال : سمعت أبا حنيفة يقول : ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين ، وما جاء عن الصحابة اخترنا ، وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال(١) . جماعة قالوا : قال ابن معين : سمعت عبيد بن أبى قرة ، سمعت يحيى بن الضريس يقول : شهدت الثورى وأتاه رجل فقال :

---

(١) قلت : هذا لفظ ابن أبى العوام الا أنه ذكر العينين مكان العين ، وقال : فنحن رجال وهم رجال والباقى سواء . وذكر ابن عبد البر هذه الرواية فى « الانتفاء » « ص ١٤٤ » عن ابراهيم ابن هانىء النيسابورى قال : لنعيم بن حماد : ما أشد ازراءهم على أبى حنيفة ! فقال : ان ينقم على أبى حنيفة ما حدثنا عنه أبو عصمة قال : سمعت أبا حنيفة يقول : ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعينين ، وما جاءنا عن أصحابه اخترنا منه ولم نخرج عن قولهم ، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال ، وأما غير ذلك فلا تسمع التشنيع . وفى تبييض الصحيفة للسيوطى « ص ٢٧ » عن نعيم بن حماد قال : سمعت عبدالله ابن المبارك يقول : قال أبو حنيفة : اذا جاء الحديث عن النبى ﷺ فعلى الرأس والعين ، واذا كان من أصحاب النبى ﷺ اخترنا ولم نخرج من
=

ما تنقم على أبى حنيفة ؟ قال : وما له ؟ قال : سمعته يقول : آخذ بكتاب الله فما لم أجد فبسنة رسول الله [والآثار الصحاح عنه التى فشت فى أيدى الثقات عن الثقات] فان لم أجد فبقول أصحابه آخذ بقول من شئت ، وأما اذا انتهى الأمر الى ابراهيم والشعبى والحسن وعطاء فأجتهد كما اجتهدوا . فسكت سيفان طويلا ثم قال كلمات ما بقى أحد فى المجلس الا كتبها : نسمع الشديد من الحديث فنخافه ، ونسمع اللين فنرجوه ، ولا نحاسب الأحياء ، ولا نقضى على الأموات ، نسلم ما سمعنا ونكل ما لم نعلمه الى عالمه ، ونتهم رأينا لرأيهم . وكيع ، سمعت أبا حنيفة يقول : البول فى المسجد أحسن من بعض القياس . محمد بن شجاع الثلجى ، سمعت اسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة يقول : قال أبو حنيفة هذا الذى نحن فيه رأى لا نجبر عليه أحدا ولا نقول يجب على أحد قبوله فمن كان عنده أحسن منه فليأت به . الحسن بن زياد اللؤلؤى قال : قال أبو حنيفة : علمنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه ، ومن جاءنا بأحسن منه قبلناه منه . قال ابن حزم : جميع أصحاب أبى حنيفة مجمعون على أن مذهب أبى حنيفة أن ضعيف الحديث أولى عنده من القياس والرأى . قال عبيد الله بن عمرو الرقى : كنا عند الأعمش وعنده أبو حنيفة فسئل الأعمش عن مسألة فقال : أفته يا نعمان . فأفتاه أبو حنيفة . فقال : من أين قلت هذا ؟ قال : لحديث حدثتناه أنت ! ثم ذكر له الحديث ، فقال له الأعمش : أنتم الأطباء ونحن الصيادلة . أحمد

قولهم ، واذا كان من التابعين زاحمناهم . وذكر الموفق بن أحمد نحوه فى « ١ — ٧٧ » عن أبى حمزة السكرى عن الامام وقال سمعت هذا الحديث أيضا فى مسند أبى حنيفة برواية عبد الله بن المبارك عن أبى حنيفة فقال : اذا جاء الحديث عن النبى ﷺ فعلى الرأس والعين ، والباقى سواء . وسمعته أيضا فى مناقب الصيمرى بألفاظ مختلفة . وروى أيضا بسنده عن الحسن بن عبد الكريم بن هلال عن أبيه عن الامام نحوه ، ولفظه فى التابعين : واذا جاء من بعدهم أخذت وتركت « ١ — ٨٠ » . وأخرج ابن خسرو فى أول مسنده عن نعيم بن حماد عن ابن مبارك عن الامام : واذا كان من التابعين زاحمناهم . أبو الوفاء .

ابن أبى خيثمة : نا ابراهيم بن بشار ، عن سفيان بن عيينة قال : مررت بأبى حنيفة فى المسجد واذا أصحابه حوله قد ارتفعت أصواتهم فقلت : الا تنهاهم عن رفع الصوت فى المسجد ؟ قال : دعهم فانهم لا يتفقهون الا بهذا .

فصل

قال عمر بن شبة : حدثنى أبو نعيم ، سمعت زفر بن الهذيل يقول : كان أبو حنيفة يجهر فى أمر ابراهيم بن عبد الله بن حسن جهرا شديدا فقلت : والله ما أنت بمنته حتى نؤتى فتوضع فى أعناقنا الحبال . قال أبو نعيم : فغدوت أريد أبا حنيفة فلقيته راكبا يريد وداع عيسى بن موسى قد كاد وجهه يسود ، فقدم بغداد فأدخل على المنصور . محمد بن شجاع الثلجى ، سمعت الحسن بن أبى مالك ، سمعت أبا يوسف ، سمعت أبا حنيفة يقول : يقدم علينا من هذا الوجه صنفان ــ يعنى من خراسان : الجهمية ، والمشبهه . النضر بن محمد ، عن أبى حنيفة أنه قال : جهم ومقاتل كانا فاسقين ، أفرط هذا فى التشبيه وهذا فى النفى . قال أبو يوسف : قال أبو حنيفة : لا ينبغى للرجل أن يحدث من الحديث الا ما يحفظه من وقت ما سمعه . شعيب بن أيوب الصريفينى : ثنا أبو يحيى الحمانى . سمعت أبا حنيفة يقول : رأيت رؤيا أفزعتنى رأيت كأنى انبش قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فأتيت البصرة فأمرت رجلا يسأل محمد بن سيرين فقال : هذا رجل ينشر أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى رواية : هذا رجل ينشر علم النبوة . وروى محمد ابن شجاع الثلجى عن الحسن بن أبى مالك عن أبى يوسف قال : رأى أبو حنيفة كأنه ينبش قبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم يأخذ عظامه يجمعها ويؤلفها فهاله ذلك ، فأوصى صديقا له اذا قدم البصرة أن يسأل ابن سيرين ، فسأله فقال : هذا رجل يجمع سنة النبى ويحييها . وقال على بن عاصم : سمعت أبا حنيفة يقول : رأيت كأنى نبشت قبر النبى صلى الله عليه وسلم فجزعت وخفت أن يكون ردة عن الاسلام ، فجهزت

رجلا الى البصرة فقص على ابن سيرين الرؤيا ، فقال : ان صدقت رؤيا هـذا الرجل فانه يرث علم نبى . ابن أبى رزمة عن عبـدان انه سـمع ابن المبـارك يقول : اذا سمعتهم يذكرون أبا حنيفة بسـوء ساءنى ذلك وأخاف عليهم المقت من الله تعالى على بن معبد ثنا الشـافعى قال . قال الليث بن سـعد : كنت أسـمع بذكر أبى حنيفة فأتمنى أن أراه ، فانى لبمكة اذ رأيت الناس متقصـفين على رجل ، فسـمعت رجـلا يقول : يا أبا حنيفة . فقلت : انه هـو . فقال : انى ذو مال وأنا من خراسـان ولى ابن أزوجـه المرأة وانفق عليه المـال الكثير فيطلقها فيذهب مالى ، وأشترى له الجارية بالمـال الكثير فيعتقها فيذهب مالى فهل من حيلة ؟ قال أبو حنيفة : أدخله سوق الرقيق فاذا وقعت عينه على جارية فاشترها لنفسك ثم زوجها اياه فان طلقها رجعت مماوكة لك وان اعتقها لم يجز عتقه . قال الليث : فوالله ما أعجبنى صوابه كما أعجبنى سرعة جوابه . وروى نحوها الطحاوى باسناد آخر الى الليث . محمد بن شجاع ، سمعت على بن عاصـم يقول : لو وزن عقل أبى حنيفة بعقل نصف أهل الارض لرجح بهم . قال الطحاوى : سمعت محمد بن العباس وأحمد بن أبى عمران يذكران أن اسماعيل بن محمد بن حماد قال : شككت فى طلاق امرأتى فسألت شريكا فقال : طلقها وأشهد على رجعتها ، ثم سألت سفيان الثورى فقال لى : [اذهب فراجعـا] فان كنت طلقتها فقـد راجعتها ، ثم سـألت زفر ابن الهذيل فقال لى : هى امرأتك حتى تتيقن طلاقها ، فأتيت أبا حنيفة فقال لى : أما سـفيان فأفتاك بالورع وأما زفر فأفتاك بعين الفقه ، وأما شريك فهو كرجل قلت له لا أدرى أصـاب ثوبى بول أم لا فقال لك : بل على ثوبك واغلسه(١) . محمد بن شجاع ، سمعت الحسن بن زياد اللؤلؤى

(١) رأيت فى مجموعة بخط الحافظ البرزالى هذه القصة من غـير طريق الطحاوى يذكـر فيها أبا حنيفة بدل زفر ثم يسأل السـائل زفر فيقول زفر هل سـألت غيرى فيقول نعم ثم يسرد السائل أجوبة هـؤلاء فيقول زفر الصـواب ما قاله أبو حنيفة أضرب لك مثلا انت مررت بثعب يسـيل ماء فأصاب ثوبك قال لك أبو حنيفة ثوبك طاهر وصـلاتك تامة حتى تستيقن أمر المـاء وقال لك سفيان اغسله فان يك نجسا فقد طهر وان يك نظيفا زاده نظافة وقال له شريك اذهب فبل عليه ثم اغسله (ز) .

يقول : أتيت داود الطائى أنا وحماد بن أبى حنيفة فجرى ذكر شيء فقال داود لحماد : يا أبا اسماعيل مهما تكلم فيه المتكلم بشيء رجاء أن يسلم منه فليحذر أن يتكلم فى القرآن الا بما قال الله عز وجل فيه ، فلقد سمعت أباك يقول : أعلمنا الله انه كلامه فمن اخـذ بما علمه الله فقد استمسك بالعروة الوثقى فهل بعد التمسك بالعروة الوثقى الا السقوط فى الهلكة ؟! فقال حمـاد لداود : جزاك الله خيرا فنعم ما أشرت به ، على بن الحسن ابن شقيق حدثنى اسحاق بن الحسن الكوفى قال : جاء رجل الى سوق الخرازين بالكوفة يسـأل عن دكان أبى حنيفة الفقيه ، فقال له أبو حنيفة : ليس هو بفقيه هو مفت متكلف . محمد بن شجاع الثلجى ، سمعت حبان يقول : أتت امرأة أبا حنيفة بثوب فقال : بكم هو ؟ قالت : بمائة درهم . قال لها هو خير من ذلك . قالت : بمائتين قال : هو خير من ذلك . قالت : بثلاثمائة . قال : هو خير من ذلك . قالت : بأربعمائة . فاشتراه بأربعمائة . وقيل ان رجلا جاء الى أبى حنيفة فقال : بعنى ثوبين واحسن بيعى . قال : أى لون تريد ؟ فوصف له فقال انتظرنى جمعتين ؟ قال : نعم ، فذهب ثم جاءه بعد ذلك فدفع اليه الثوبين ودينـارا وقال : انى لم احسن اليك انى جعلت لك بضـاعة فرزقت من عند الله فأحمده . فقالوا لأبى حنيفـة فقال : ألم تسمعوا الى قوله : واحسن بيعى ؟ . حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال : اذا قال الرجل للرجل احسن بيعى فقد ائتمنه . عبيد بن يعيش : ثنا وكيع قال : كان سفيان اذا قيل له أمؤمن انت قال نعم ، واذا قيل له عند الله قال ارجو . وكان أبو حنيفة يقول : انا مؤمن ههنا وعند الله . قال أبو بشر الدولابى : حدثنى محمد بن سـعدان حدثنى الضبى مؤدب المعز قال : كان ابو اسـيد يجالس أبا حنيفة ، وكان شيخا عفيفا مغفلا(١) فقال مرة فى مجالس أبى حنيفة لرجل : ارفع ركبتك فانى

(١) لعله يريد بذكر نوادر أبى أسيد هنا الاشـارة الى مبلغ رحابة صدر أبى حنيفة ودرجة تلطفه مع من تردد الى مجلسه ولو لم يكن من طوب العلم ، ولم تكن مجالس أهل العلم تخلو من بعض المغفلين المترددين اليها من غير قابلية عندهم العلم ، وكان العلماء يتلطفون معهم ويصبرون على نوادرهم حذرا من كسر خواطرهم بزجرهم لئلا يجتمع عندهم الحرمان من العلم مع الهوان المكشوف (ز) .

أريد أن أبول وانما أراد ان يبزق . فقال الرجل لأبي حنيفة : الا تسمع ما يقول ؟ قال أبو أسيد : أليس يقال اذا جالست العلماء فجالسهم بقلة السكينة والوقار ؟ فضحك أبو حنيفة والقوم منه . وكان أبو أسيد جالسا في الشارع اذ مروا ببكرة سمينة فقال : ليتها لى ! قالوا : ما تصنع بها ؟ قال أختنها وأنحر ابنى ! قال وتهيأ يوم الأحد ولبس ثياب يوم الجمعة وتطيب وخرج وجلس الى صديق له عطار فتحدث عنده ساعة ثم قال : ألا تقوم بنا الى الجمعة ؟ فقال له : يا أبا أسيد اليوم الأحد ، الناس يغلطون بيوم وأنت تغلط بالاسبوع كله ! قال : ما ظننت الا أنه الجمعة . قال ومرض فعاده أبو حنيفة فقال : كيف تجدك ؟ قال : بخير . قال : أطعموك اليوم شيئا ؟ قال نعم مرقة(١) رب جميز ورمان ! فضحك أبو حنيفة وقال له : أنت في عافية . داود بن رشيد : ثنا يحيى بن سعيد الأموى عن أبى حنيفة عن حماد عن ابراهيم قال : أخبرنى من رأى قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسنما عليه أفلاق من حجارة بيض . الطحاوى سمعت أحمد(٢) [ابن أبى عمران يقول : سمعت هلال بن يحيى يقول : سمعت يوسف] بن خالد السمتى يقول : جالست أبا حنيفة سنتين ونصف سنة فما سمعته لحن فى شيء الا فى حرف واحد ، زعم أهل اللغة أن له فيه مخرجا . محمد بن أحمد بن حفص فقيه بخارى ، عن أبى وهب محمد بن مزاحم أو غيره ، عن ابن المبارك قال : ما لزمت سفيان حتى جعلت علم أبى حنيفة هكذا ، وأشار بقبض يده . وقال أبو القاسم عبد الله بن محمد بن أبى العوام السعدى قاضى مصر : حدثنى ابراهيم بن أحمد الترمذى ، سمعت أبا نصر محمد بن محمد بن سلام

---

(١) هكذا فى الأصل والمرقة لا تكون الا من اللحم وقد جعلها أبو أسيد من الرب ، « والرب » بالضم والاهمال : المربى المصنوع من الفواكه ، لكن الجميز من أردأ الفواكه فلما يصنع منه مربى ، الا أن ما يرغب فيه مثل أبى أسيد يكون شيئاً من هذا القبيل مما لا يرغب فيه سواه ولا سيما فى حالة المرض (ز) .

(٢) كان فى الأصل « أحمد بن خالد » وقد سقط منه ما كان بين « أحمد » و « بن » فردته من كتاب ابن أبى العوام ذكره عند ذكر خالد بن يوسف . أبو الوفاء .

البلخى ، سمعت نصير بن يحيى البلخى يقول : قلت لأحمد بن حنبل : ما الذى تنقم على هـذا الرجل ؟ قال : الرأى . قلت : فهذا مالك ألم يتكلم بالرأى ؟ قال : بلى ولكن رأى أبى حنيفة خلد فى الكتب قلت : فقد خلد رأى مالك فى الكتب . قال : أبو حنيفة أكثر رأياً منه . قلت : فهلا تكلمتم فى هـذا بحصته وهـذا بحصته ؟ ! فسكت .

فصل فى ورعه سوى ما تقـدم

قال ابن كأس القاضى : ثنا الحسن بن الحكم الحبرى ، ثنا على بن حفص البزاز قال : كان حفص بن عبـد الرحمن شريك أبى حنيفـة ، وكان أبو حنيفة يجهز عليـه فبعث اليه أن فى ثوب كذا عيباً فاذا بعته فبين ، فنسى حفص وباعه من غير تبيان من رجل غريب ، وعلم أبو حنيفة فتصدق بجميع ثمنه . قال أبو نعيم : كان أبو حنيفة حسن الدين عظيم الأمانة . قال محمـد بن(١) اسحاق بن خلف البكائى : نا جعفر بن عون وغـيره أن امرأة أتت أبا حنيفة تطلب منـه ثوب خز فأخرجوه اليها . فقالت : انى امرأة ضعيفة فبعنيه بما تقوم عليك . فقال : خذيه بأربعة دراهم . فقالت : لا تسخر بى . فقال : سبحان الله ! انى ابتعت ثوبين فبعت احدهما برأس المـال الا أربعة دراهم . على بن الحسن بن شقيق عن ابن المبـارك قال : سـئل أبو حنيفة أى الأعمـال أفضـل ؟ قال : طلب العلم ، قيل : ثم أى ؟ قال : ما اشـتد عليك . وعن خارجة بن مصعب قال : أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم ودعى ليقبضها فشاورنى ، ثم قال : هـذا رجل ان رددتها عليه غضب وان قبلتها دخل على [فى دينى](٢) ما أكرهه . فقلت : ان هـذا المـال عظيم فى عينه

---

(١) محمد بن اسـحاق بن عون ويقال : خلف البكائى (بالفتح) ثم العامرى . روى عن يعلى بن عبيد ، وجعفر بن عون ، وأبى غسان النهدى ، وأحمد بن يونس ، وخالد بن مخلد ، وعبيـد الله بن موسى ، وقبيصـة وغيرهم ، وعنه ابن ماجة ، وأبو عوانة ، ومحمد بن المنذر شكر ، والهيثم ابن خلف الدورى ، وأبو العباس أحمد بن محمد وغيرهم ، ذكره ابن حبان فى الثقات . مات فى شعبان سنة أربع وستين ومائتين . أبو الوفاء .

(٢) ما بين المربعين زيادة من مناقب الموفق «١ ـ ٢١١» . أبو الوفاء.

فاذا دعيت لتقبضها فقل لم يكن هذا أملى من أمير المؤمنين . ففعل ورفع ذلك الى المنصور فحبسها عنه(١) . وعن الحسن بن زياد اللؤلؤى قال : والله ما قبل أبو حنيفة لأحد منهم جائزة ولا هدية ، يعنى الأمراء . محمد بن عبد الملك الدقيقى ، سمعت يزيد بن هارون يقول : لم أر أعقل ولا أفضل ولا أورع من أبى حنيفة . أبو قلابة ، سمعت محمد بن عبد الله الأنصارى يقول : كان أبو حنيفة تبين عقله فى منطقه وفعله ومشيته ومدخله ومخرجه . قال عبد الحميد الحمانى : ما رأيت أفضل من أبى حنيفة ديناً وورعا . محمد بن على بن عفان ، ثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى عن أبيه قال : كنت عند أبى حنيفة فجاءه رجل فقال : سمعت سفيان ينال منك ويتكلم فيك . فقال : غفر الله لنا ولسفيان لو أن سفيان فقد فى زمن ابراهيم النخعى لدخل على المسلمين فقده . محمد بن الصقر(٢) بن مالك بن مغول ، سمعت اسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة يقول : قال أبو حنيفة : استحل منى ابن أبى ليلى ما لا أستحله أنا من بهيمة(٣) . أبو يحيى بن أبى ميسرة : ثنا خلاد بن يحيى قال : قال مسعر بن كدام : طلبت مع أبى حنيفة الحديث فغلبنا وأخذنا فى الزهد فبرع علينا وطلبنا معه الفقه فجاء منه ما ترون . قال ابن كأس : ثنا أبو بكر المروزى ، سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : لم يصح عندنا أن أبا حنيفة رحمه الله قال القرآن مخلوق . فقلت : الحمد لله يا أبا عبد الله هو من العلم بمنزلة ! فقال : سبحان الله ! هو من العلم

---

(١) ولفظ الموفق « فدعى ليقبضها فقال ذلك فرفع اليه خبره فحبس الجائز » . (ز) .

(٢) هكذا فى الأصل فنسب الى جده لأم أبيه لأنه « ابن عبد الرحمن ابن بنت مالك بن مغول » كما فى الميزان واللسان وتاريخ الخطيب والتأنيب « ٢٩ و ٥٩ » . (ز) .

(٣) وفى لفظ ابن أبى العوام « من سنورة » بدل « من بهيمة » (ز) . قلت : وفى مناقب الموفق « ٢ ــ ١٣ » من رواية شيبة بن عبد الرحمن بن اسحاق عن محمد بن خارجة الصيرفى عن الامام بلفظ « ان ابن أبى ليلى يستحل منى ما لم أكن مستحلا له من سنورة وحمارة » . أبو الوفاء .

والورع والزهد وايثار الدار الآخرة بمحل لا يدركه فيه أحمد ، ولقد ضرب بالسياط على أن يلي القضاء لأبي جعفر فلم يفعل . يحيى بن عبد الحميد الحماني ، عن أبيه ، سمع أبا حنيفة يقول : جهم بن صفوان الخراساني كافرا(١) .

فصل في الاحتجاج بحديثه

اختلفوا في حديثه على قولين ، فمنهم من قبلهم ورآه حجة(٢) ؛ ومنهم من لينه لكثرة غلطه في الحديث ليس الا . قال علي بن المديني : قيل ليحيى بن سعيد القطان : كيف كان حديث أبي حنيفة ؟ قال : لم يكن بصاحب حديث(٣) . قلت : لم يصرف الامام همته لضبط الالفاظ والاسناد وانما كانت همته القرآن والفقه(٤) وكذلك حال كل من أقبل

---

(١) أما ما يقال من أنه قال له : « اخرج يا كافر » فلم أره بسند متصل ، وان كان عند جهم بدع مكفرة (ز) .

(٢) وعليه جمهور الفقهاء وأهل الحديث الأيقاظ من غير متعصبة الحشوية ، والثاني زعم أذيال الحشوية الجهلة من النقلة المتعصبة وهم ممن لا يقام لكلامهم وزن ! فدونك ابن عدي صاحب الكامل نراه يحمل ما وقع في كلام شيخه أبان بن جعفر من أوهام له في أحاديث أبي حنيفة على الامام نفسه ظلماً وعدواناً ، وقد أفضت في هذا البحث في تأنيب الخطيب ، (ز) .

(٣) في سند هذا الخبر في تاريخ الخطيب ابن حيويه ، كان ضعيفاً متساهلا في الرواية يحدث من كتب ليس عليها سماعه ، ويمثل هذا السند لا يثبت عن ابن المديني شيء بل ابن المديني نفسه لم ينج من جروح الرواة حتى قال قائلهم فيه :

يابن المديني الذي عرضت له دنيا فجاد بدينه لينالها

نعم أبو حنيفة لم يكن متفرغاً للرواية يعقد لصنوف النقلة مجالس تحديث ، بل كان مجلسه مجلس تفقيه يحضره المتدربون على الاستنباط من أذكياء المتفقهة بل كبار المجتهدين المتخرجون عليه ، فيحدثهم بمناسبات، وصاحب الحديث عندهم هو المتفرغ لروايته بدون العناية بالتفقه فيه ، واين التفقيه والتفقه في الدين من الرواية المجردة ؟ (ز) .

(٤) الذهبي لم يحرر المقام تحت تأثير خلطائه من الحشوية المنحرفين البعداء عن تعقل دقة مدارك أبي حنيفة ومنزلته السامية في سعة العلم ، وليس شأن المجتهد ، الذي دان له شطر الأمة بل ثلثاها ، وجرى باقي الأئمة على نور تأصيله وتفريعه مدى القرون أن يغفل ضبط الحديث اسناداً ومتنا مع قرب عهده من حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ،

على فن فانه يقصر عن غيره ، من ثم لينوا حديث جماعة من ائمة القراء كحفص ، وقالون ، وحديث جماعة [من](١) الفقهاء كابن أبى ليلى ، وعثمان البتى ، وحديث جماعة من الزهاد كفرقد السنجى ، وشقيق البلخى ، وحديث جماعة من النجاة ، وما ذاك اضعف فى عدالة الرجل بل لقلة اتقانه للحديث ، ثم هو انبل من أن يكذب . وقال ابن معين فيما رواه عنه صالح بن محمد جزرة وغيره : أبو حنيفة ثقة . وقال أحمد ابن محمد بن القاسم بن محرز ، عن يحيى بن معين : لا بأس به(٢) . وقال أبو داود السجستانى : رحم الله مالكا كان اماما ، رحم الله أبا حنيفة كان اماما .

فصل فى منثور أخباره

روى الخطيب من طريق أحمد بن عطية : ثنا الحسن بن الربيع نا قيس بن الربيع : كان أبو حنيفة يبعث بالبضائع الى بغداد فيشترى بها الأمتعة ويحملها الى الكوفة ويجمع الأرباح عنده من سنة [الى سنة](٣) فيشترى بها حوائج الأشياخ المحدثين وأقواتهم وكسوتهم [وجميع

=

لكن الهوى يجعل الضابط الثقة ضعيفا غالطا ! واين المتفرغ الى الاجتهاد ملتفا حوله كبار المجتهدين المتخرجون عليه من المتفرغ للقضاء أو القراءة أو الزهد ؟ والاجتهاد فى مثله لا يتم الا بالتضلع فى الكتاب والسنة والآثار وفى معرفة مواقع الاجماع والخلاف ، لكن ذنب أبى حنيفة أن اكثر القضاة الذين امتحنوا الرواة فى عهد المأمون كانوا على مذهبه فانتقموا منه بالنيل من امامهم . سامحهم الله . وتفصيل هذا البحث فى التأنيب . (ز) .

(١) كان لفظ « من » ساقطا من الأصل فزدته هنا لتصبح العبارة . ابو الوفاء .

(٢) قال الخطيب : اخبرنا ابن رزق ، حدثنا احمد بن على بن عمرو ابن حبيش الرازى سمعت محمد بن أحمد بن عصام يقول : سمعت محمد ابن سعد العوفى يقول : سمعت يحيى بن معين يقول : « كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث الا بما يحفظ ولا يحدث بما لا يحفظ » وهذا يقضى على من يرميه بقلة الضبط . وقد اخرج ابن عبد البر فى الانتقاء بسنده عن ابن معين أيضا أنه قال عن أبى حنيفة : « انه ثقة ما سمعت أحدا ضعفه » فظهر أن تضعيفه حدث فيما بعد ابن معين حين استفحل شر الحشوية البعداء عن الفهم . (ز) .

(٣) ما بين المربعات من هذه الصفحة زيد من تاريخ الخطيب . *ابو الوفاء .*

حوائجهم] ثم يعطيهم(١) ويقول : لا تحمدوا الا الله [فانى] ما أعطيتكم من مالى شيئاً ولكن من فضل الله على فيكم(٢) . قد جاء غير حكاية فى جود أبى حنيفة وبذله لتلامذته كأبى يوسف وغيره . محمد بن على بن عفان العامرى ، ثنا نمر بن حداد عن أبى يوسف قال : دعا المنصور أبا حنيفة فقال الربيع الحاجب ـ وكان يعادي أبا حنيفة : يا أمير المؤمنين هذا يخالف جدك ابن عباس كان يقول : اذا حلف ثم استثنى بعد يوم أو يومين جاز الاستثناء وهذا لا يجوز الاستثناء الا متصلا باليمين ! فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين ان الربيع يزعم أنه ليس لك فى رقاب جندك بيعة ! قال : وكيف ؟ قال : يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم . فضحك المنصور وقال : يا ربيع لا تعرض لأبى حنيفة . يحيى بن عبد الحميد الحمانى سمعت ابن المبارك يقول : رأيت الحسن ابن عمارة آخذاً بركاب أبى حنيفة وهو يقول : والله ما أدركنا أحدا تكلم فى الفقه أبلغ ولا أصبر ولا أحضر جواباً منك ، وانك لسيد من تكلم فى وقتك غير مدافع ، وما يتكلمون فيك الا لحسد . سفيان بن وكيع ، سمعت أبى يقول : دخلت على أبى حنيفة فرأيته مطرقاً مفكراً فقال لى : من أين أقبلت ؟ قلت : من عند شريك ، فأنشأ يقول :

ان يحسدونى فانى غير لائمهم ... قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم ... ومات أكبرنا غيظاً بما يجد

فصل فى وفاة أبى حنيفة

قيل انه بقى فى نفس المنصور من أبى حنيفة لقيامه مع ابراهيم ابن عبيد الله على المنصور ، وكان أبو جعفر لا يصطلى له بنار ، وفيه جبروت وشهامة . قال بشر بن الوليد : مات أبو حنيفة بالسجن ببغداد ، ودفن فى مقابر الخيزران . أحمد بن القاسم البرتى ، عن بشر بن الوليد ،

---

(١) ولفظ الخطيب فى تاريخه « ثم يدفع باقى الدنانير من الأرباح اليهم فيقول : أنفقوا فى حوائجكم ولا تحمدوا الا الله » . أبو الوفاء .

(٢) زاد الخطيب فى تاريخه « وهذه أرباح بضائعكم فانها هى والله مما يجريه الله لكم على يدى ، فما فى رزق الله حول لغيره » . أبو الوفاء .

عن أبى يوسف قال : مات أبو حنيفة فى نصف شوال سنة خمسين ومائة . وقال الواقدى وغيره : مات أبو حنيفة فى رجب سنة خمسين ومائة وله سبعون سنة . وقال الواقدى : مات ببغداد وكنت يومئذ بالكوفة . وقال أبو حسان الزيادى ، ويعقوب بن شيبة : مات فى رجب سنة خمسين . وجاء عن بعضهم : مات فى شعبان . وفى رجب أصح . وبلغنا أن المنصور سقاه السم فاسود ومات شهيداً . رحمه الله تعالى .

ومن حديثه

أخبرنا أبو المعالى أحمد(١) بن اسحاق بن محمد [بن المؤيد] الهمدانى بمصر أنا أبو القاسم المبارك بن أبى الجود ببغداد ، انا أحمد بن أبى غالب الزاهد ، أنا أبو القاسم عبد العزيز بن على الأنماطى ، أنا أبو الطاهر (المخلص) محمد بن عبد الرحمن الذهبى ، سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، ثنا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمى ، ثنا اسحاق بن أبى اسرائيل ، انا أبو يوسف ، ثنا أبو حنيفة عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال : أتى ماعز بن مالك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقر بالزنا فرده ، ثم عاد فأقر بالزنا فرده ، ثم عاد فأقر بالزنا فرده ، فلما كان فى الرابعة سأل عنه قومه : هل تنكرون من عقله شيئاً ؟ قالوا : لا ، فأمر به فرجم فى موضع قليل الحجارة ، فأبطأ عليه الموت فانطلق يسعى الى موضع كثير الحجارة ، واتبعه الناس فرجموه حتى قتلوه ، ثم ذكروا شأنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما يصنع ، فقال : فلولا(٢) خليتم سبيله ! قال فسأل قومة رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) واستأذنوه فى دفنه والصلاة عليه فأذن لهم فى ذلك وقال :

---

(١) هو الأبرقوهي . (ز) .

(٢) وفى مسند الحارثى من طريق أبى أسعد وأسد بن عمرو والمقرئ عن الامام « هلا » ومن طريق الحسن بن عمر بن شقيق وأبى يوسف وكذا من طريق محمد وأبى معاوية عن الامام « أولا » ومن طريق أبى يحيى الحمانى « ألا » ومن طريق حمزة الزيات « فلولا » كما هنا . أبو الوفاء

(٣) وعند الحارث فى هذا الحديث « ثم ذكروا شأنه وما صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لولا خليتم سبيله . قال : فاستأذن قومه =

لقد تاب توبة او تابها فنام من الناس قبل منهم . أخبرنا العباس ابن أحمد بن عبد الرحمن ، وأبو الفداء اسماعيل بن عبد الرحمن ، وأبو عبد الله محمد بن خازم الحنبليون قالوا : أنا أبو القاسم الحسين ابن هبة الله التغلبى . زاد أبو الفداء فقال : وأنا أبو محمد بن قدامة قالا : أنبأ أبو المكارم عبد الواحد بن محمد بن هلال ، أنا أبو الفضل عبد الكريم بن المؤمل الكفرطابى حضوراً سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، أنا عبد الرحمن بن عثمان التميمى ، أنا خثيمة بن سليمان القرشي بدمشق ، أنا اسحاق بن سيار بنصيبين ، ثنا عبيد الله ابن موسى عن أبى حنيفة عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن متعة النساء .

ومن المنامات المبشرة لأبى حنيفة

قال القاسم(١) بن غسان القاضى : ثنا أبى ، ثنا أبو نعيم ، قال : دخلت على الحسن بن صالح يوم موت أخيه فرأيته يستطعم شيئا من رجل(٢) ويضحك ، فقلت : تدفن أخاك عشية غدوة وتضحك آخر النهار(٣) ! قال : ليس على أخى من بأس . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : دخلت عليه فقلت : كيف تجدك ؟ قال : مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين [وحسن أولئك رفيقا] فتوهمته يتلو الآية ، ثم قلت : يا أخى : كيف تجدك ؟ قال : مع الذين أنعم الله عليهم وأعاد الآية ، فقلت : أتقرأ أم ترى شيئا ؟ قال : أفلا ترى ما أرى ؟ قلت : لا [فماذا ترى] ؟ قال : بين يدى يده فقال : [هذا] نبى الله محمد صلى الله وعليه وسلم يضحك

=

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دفنه والصلاة عليه .. الحديث » الا أن راوى ابى يوسف فى المسند الحسن بن عمر بن شقيق وهنا اسحاق . أبو الوفاء .

(١) كان فى الأصل « أبو القاسم » والصواب « القاسم » كما هو عند ابن أبى العوام وكما سيجىء أيضا . أبو الوفاء .

(٢) وكان فى الأصل « يستطعم حديثا » والصواب « يستطعم شيئا من رجل » كما هو عند ابن أبى العوام . أبو الوفاء .

(٣) وعند ابن أبى العوام « صدر نهاره » . أبو الوفاء .

الى ويبشرنى بالجنـــة وهؤلاء الملائكة معه [كذلك] بأيديهم حلل السندس والاستبرق(١) ، وهؤلاء الحور العين متحليات متزينات ينتظرن متى أصير اليهن . فتكلم بهذا(٢) وقضى رحمة الله عليـــه ، فلماذا احزن عليـــه وقد صار الى نعيم ؟ قال أبو نعيـــم : فلما كان بعـــد أيام صرت الى الحســـن ابن صالح فقال [لى حين رآنى] يا أبا نعيم علمت أنى رأيت أخى البارحة [فى منامى كأنه صار الى] وعليه ثيـــاب خضر فقلت (له يا أخى) : أليس قدمت(٣) قال : بلى . قلت فما هذه الثياب التى عليك ؟ قال : السندس والاستبرق ، ولك يا أخى عندى مثلها . قلت : ماذا فعل بك ربك ؟ قال : غفر لى وباهى بى وبأبى حنيفة رضى الله عنه الملائكة . قلت : أبو حنيفة النعمان بن ثابت ؟ قال : نعم . قلت : وأين منزله ؟ قال : نحن فى جوار فى أعلى عليين . قال القاسم : قال أبى : فكان أبو نعيم اذا ذكر أبا حنيفة [أو ذكر بين يديه] يقول : بخ بخ فى أعلى عليين(٤) ! أبو بشر الدولابى : ثنا أحمد بن القاسم البرتى ، حدثنى أبو على أحمد بن محمد بن أبى رجاء سمعت أبى يقول : رأيت محمد بن الحسن فى المنـــام فقلت : الام صرت ؟ قال : غفر لى . قلت : بم ؟ قال : قيل لى : لم نجعل هـــذا العلم فيك الا ونحن نغفر لك : قلت : فما فعل أبو يوسف ؟ قال : فوقنا بدرجة . قلت : فأبو حنيفة ؟ قال : فى أعلى عليين . محمد بن حماد المصيصى مولى بنى هاشـــم حدثنى ابراهيم بن واقد ، ثنـــا المطلب بن زياد ، وأخبرنى جعفر بن الحسن امامنـــا قال : رأيت أبا حنيفة فى النوم فقلت له : ما فعل الله بك يا أبا حنيفة ؟ قال : غفر لى . قلت له : بالعلـــم ؟ قال : ما أضر الفتوى على صاحبها ! قلت : بم ؟ قال : يقول الناس فى ما لم يعلمه منى . محمد بن حماد أيضا ، ثنا محمد بن ابراهيم الليثى ، ثنا حسين الجعفى ، ثنا عبـــاد التمار ، قال : رأيت أبا حنيفة فى النوم فقلت : الام صرت ؟ قال : الى سعة رحمته . قلت : بالعلم ؟ قال : هيهات ! العلم شروط

---

(١) وزاد ابن أبى العوام « واطباق الطيب » . أبو الوفاء .
(٢) وعند ابن أبى العوام « فقال هـــذا » . أبو الوفاء .
(٣) وفى كتاب ابن أبى العوام « ألست قد مت » . أبو الوفاء .
(٤) زاد ابن أبى العوام « ثم يذكر هذا الحديث » . أبو الوفاء .

وآفات قل من ينجو . قلت : فبم ذاك ؟ قال يقول الناس فى ما لم اكن عليه(١) . والله أعلم بالصــواب .

* * *

بعون الله تعــالى تمت ترجمة الامام ابى حنيفة النعمان

ويليهــا

ترجمة الامام أبى يوسف ، رضى الله عنهما

* * *

(١) انظر الى هذه المبشرات وأسانيدها وقد ختم الذهبى جزاه بها ، ثم انظر الى ما ختم به الخطيب ترجمة أبى حنيفة فى تاريخه لتعتبر بمبلغ ما ينطوى عليه الخطيب من الخبث البالغ . وفى ســند أقصوصته ، التى يتخيلها المتخيل فى نومه أو يقظته ، عبد الله بن جعفر بن درستويه الذى ضعفه البرقانى ، واللالكائى واتهم برواية ما لم يسمعه اذا دفــع اليــه درهم ، والخطيب يشتم الناس على لســانه بعد أن ســعى فى تبرئتــه مما رمى به ، لكن أكتاف الخطيب تضعف عن حمل التهم الموجهة اليــه بحق ، ويعقوب بن ســفيان شيخه فى الســند قيل عنه أنه كان يتكلم فى عثمان رضى الله عنه ، فمثله اذا تكلم فى أبى حنيفة لا يســتغرب وشيخه عبد الرحمن هو رسته الذى تكلم فيه الحافظ أبو مسعود الرازى كلاما شــديدا ، وابن المدينى كان قوى الصلة بأحمد بن أبى داود فى محنة أهل الحديث فترك أبو زرعة وأحمد الرواية عنه بعد المحنة ، وبشر بن أبى الأزهر امام أصــحاب أبى حنيفة بنيســابور فى عصره ومن أتبــع أهل العلــم لأبى حنيفة ، فلا تكون الرؤيا بمثل ذلك الســند الا مختلفة على لسانه . نسأل الله الســلامة . (ز)

ترجمـــة الامام ابى يوسف

للامام الحافظ ابى عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبى

المتوفى سنة ٧٤٨ قدس الله سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العدل فى قضائه ، المتطول بنعمائه ، العلى فى كبريائه . وصلى الله على محمد أشرف انبيائه . وسلم تسليما الى يوم القيامة .

هـذه ترجمة الامام أبى يوسف القاضى يعقوب بن ابراهيم بن حبيب ابن خنيس(١) بن سعد بن بحير(٢) بن معاوية الأنصارى عرض سـعد ابن بحير يوم أحد على النبى صلى الله عليه وسلم فاستصغره . وهو سـعد ابن حبتة ، شـهد الخندق وما بعدها ، وان حبتة هى ابنة خوات بن بحير الأنصارى ، ونسب سعد فى بجيلة وانما حالف الأنصار . ومن ولده النعمان بن سعد الراوى عن على رضى الله عنه ، وأخوه خنيس بن سعد . ولـد أبو يوسف سنة ثلاث عشرة(٣) ومائة بالكوفة ، وكتب العلم عن طائفة من التابعين ، فسمع من هشـام بن عروة ، ويحيى بن سعيد ، والأعمش ، ويزيـد بن أبى زيـاد ، وعطـاء بن السـائب ، وعبـد الله بن عمـرو

(١) هكذا عند الطحاوى أيضاً لكن حقق ابن أبى العوام أن خنيسا ليس فى عمود نسب أبى يوسف وانما هو أخو حبيب لا أبوه ، وهكذا أيضاً عند وكيع القاضى (ز) .

(٢) بالفتح والاهمال (ز) .

(٣) هـذا ما ذكره الطحاوى وجرى عليـه الجمهور أخذاً بأحدث الروايات فى المواليد احتياطاً ، لكن قال أبو القاسم على بن محمد السمنانى المتوفى سنة ٤٩٩ هـ فى روضة القضـاة : « توفى أبو يوسف وله تسع وثمانون سنة على خلاف فى ذلك » . ومثله فى « مسالك الأبصـار » لابن فضل الله العمرى فيكون ميلاده سنة ثلاث وتسعين ، وبين التاريخين تفاوت عظيم كما ترى ، ولعل ميلاده كتب فى بعض النسخ القديمة بالرقم هكـذا (٩٣) فانطمس رأس (٩) أو كان غـير بارز فشـابه (١) فقرأ القارىء أن ميلاده سنة (١٣) ولظهور أن ميلاده ليس بهذا القدم عد هذا بعد المـائة الأولى وانما حذفت المـائة اختصاراً كما هو المعتاد فى المئات عند الأمن من الخطأ فجرى ذكر (١١٣) كميلاد له على اصلاح الرقم ظنا فى غالب الكتب . والى ما ذهب اليه السمنانى جنح صاحب « أخبـار الأول » وصاحب « روضات الجنات » تقريبا . ويستأنس فيما ذهبـوا اليه يقول أبى يوسف :« ان طال بالناس الزمن رجعوا الى فتى من أهل المدينـة » يريد مالكا كما فى جزء « ما رواه الأكابر عن مالك » للحافظ محمد بن مخلد العطار المتوفى سنة ٣٣١ هـ بسـنده اليه ، ولو لم يكن أبو يوسف اكبر سـنا من مالك أو فى سنه لمـا صح أن يقول عنه هـذا القول . ومواليد السلف فيها اضطراب كبير لتأخر تدوين كتب الوفيات . والله أعلم (ز) .

ابى اسحاق الشيبانى ، وحجاج بن أرطأة(١) وطبقتهم . وتفقه

---

(١) ومن شيوخه محمد بن اسحاق صاحب المغازى . وقد أسند الموفق الخوارزمى فى مناقب أبى حنيفة فى « ٢ – ٢٣١ » بطريق محمد ابن موسى الحاسب عن اسحاق بن ابى اسرائيل قال : كان أبو يوسف يقول : « اختلفت الى أبى حنيفة فى التعلم منه ولكن كان لا يفوتنى سماع الحديث من المشايخ . فقدم محمد بن اسحاق صاحب المغازى الكوفة فاجتمعنا اليه وسألناه أن يقرأ علينا كتاب المغازى فأجابنا الى ذلك ، فتركت الاختلاف الى أبى حنيفة وأقمت على محمد بن اسحاق أشهراً حتى سمعت الكتاب منه ، فلما فرغ منه رجعت الى أبى حنيفة فقال لى : يا يعقوب ما هذا الجفاء ؟ قلت : لم يكن ذلك ولكن قدم محمد بن اسحاق المدينى ههنا فاشتغلت بسماع المغازى منه . فقال لى : يا يعقوب اذا رجعت اليه فسله من كان مقدمة طالوت ؟ وعلى يدى من كان راية جالوت ! فقلت : دعنا من هذا يا أبا حنيفة فوالله ما أقبح بالرجل يدعى العلم فيسأل أبدر كان قبل أم أحد ! فلا يعرفه » وهذا كلام لا غبار عليه اذ لا لوم على ابى يوسف فى ان ينتفى مما عند مثل محمد بن اسحاق فى المغازى ، ولا على ابى حنيفة فى عدم اطمئنانه الى علم محمد بن اسحاق فى المغازى وقد تلقى أبو حنيفة المغازى من مثل الشعبى المعترف بسعة علمه فى ذلك عند مثل ابن عمر رضى الله عنهما . وابن اسحاق نسب الى غير واحدة من البدع ، كما يقوله ابن رجب فى شرح علل الترمذى ، فلا مانع من أن يكون غير مرضى عند أبى حنيفة كما أنه غير مرضى عند مالك ، وعلم المغازى عنده قلما يستند على أصول سليمة ، ومن رضى بعلم ابن اسحاق فى المغازى انما رضى به بشروط معروفة ، وليس فى الخبر المذكور مساس بأحد الجانبين كما لا مأخذ فى سنده ، لكن ما تزيده ابن خلكان نقلا من كتاب « الجليس الصالح » للمعافى النهروانى الجريرى اختلاق صرف تكذبه شواهد الحال ، وأبو حنيفة هو الذى يحدث أصحابه فى مسانيده عن تفضيل عمر رضى الله عنه أصحاب بدر فيما فرض لهم فى الديوان على باقى أصحاب الغزوات المتأخرة كما انه لم يزل لسانه رطباً بتلاوة قوله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة » المعروف نزوله فى أحد فى ختماته ليلا ونهاراً . وهذا مما يعلمه صغار أهل العلم ، وهو الذى أملى على أصحابه كتاب « السير الصغير » فرد عليه الأوزاعى وانبرى للدفاع عن أبى حنيفة أبو يوسف نفسه فى كتابه المعروف ، فكيف يتصور أن يجهل أبو حنيفة فى نظر أبى يوسف أبدر كانت قبل أحد أم بالعكس ، مع ان ذلك ليس مما يجهله الا بعض أطفال الكتاتيب ؟ وكيف يظن بأبى يوسف أن يسىء الأدب مع أستاذه الذى اجلاله له بكل مناسبة مستفيض متواتر لما له من اليد البيضاء فى تكوينه العلمى والانفاق عليه مدة طلبه للعلم ، وعرفانه الدائم لهذا الجميل العظيم طول حياته ؟ لكن ابن خلكان يلذه تسجيل ما ينال من امام الأئمة من كل مصدر تألف ، متغاضياً عن نقل =

بأبى حنيفة ، وهو أجل أصحابه . تفقه عليه عدد كثير ، وروى عنه بشر بن الوليد ، وابن سماعة ، ويحيى بن معين ، وعلى بن الجعد ، وأحمد بن حنبل ، وعمرو الناقد ، وأحمد بن منيع ، وعلى بن مسلم الطوسى ، والحسن بن أبى مالك ، وهلال الرأى(١) وابراهيم بن الجراح ، ومعلى بن منصور الرازى ، وأسد بن الفرات ، وعمرو بن أبى عمرو الحرانى . وأجل أصحابه محمد بن الحسن . ولى قضاء بغداد لموسى الهادى(٢) ثم ولى القضاء لهارون الرشيد . وعلا شأنه ، وهو أول من دعى قاضى القضاة . قال مكرم القاضى : ثنا عبد الصمد بن عبيد الله ، عن على بن حرملة التيمى ، عن أبى يوسف قال : كنت أطلب

= ما يمس امامه فلا يتحاشى تدوين أسطورة الأباريق الرصاص من حماد مجرد المكشوف الأمر ، وصلاة القفال التى لا يشك فى اختلاقها سوى قلوب عليها أقفالها . وصاحب « الجليس الصالح » هو الذى يزعم أن المأمون حمل الشافعى على شرب عشرين رطلا من النبيذ ففعل ولم يتغير عقله كما فى « لسان الميزان » مع أنه لم يجتمع به فى عهد خلافته أصلا ، وهو كذب بحت كهذه الأقصوصة ، وليس النهروانى من رجال التحرى فى النقل وكتابه جامع بين الجد والهزل يتوخى فيه نقل طرائف الحكايات والنوادر المضحكات ولو فى أكبر امام بأسخف سند شأن كتب الأدب لغير المتحرين . وما روى عن أمثال محمد بن أبى الأزهر ، ومحمد ابن الحسن النقاش ، وابن دريد ، ومعمر بن شبيب ، والحسن بن على ابن زكريا البصرى ، وعبد الله بن أيوب بن زاذان وغيرهم من المتروكين الكذبة عند أهل النقد ، فان كان النقل عنهم عن جهل بأحوالهم فذلك فضيحة للناقل والمنقول عنه ، وان كان عن علم فما هو الا قلة دين . هكذا يسقط نفسه من يحاول النيل من كبار الأئمة بأكاذيب ملفقة ، نسأل الله الصون . (ز) .

(١) على صيغة المصدر باضافة (هلال) اليه وعند الفصل بينهما بذكر الأب يتعين كونه على صيغة النسبة أو على صيغة (فاعل) بمعنى النسبة حيث لا يجوز اعتبار الاضافة مع الفاصل . (ز) .

(٢) بل ولى القضاء قبله فى عهد المهدى ، كما ذكره ابن عبد البر فى « الانتقاء » وقبله محمد بن خلف المعروف بوكيع القاضى فى أخبار القضاة . (ز) .

الحديث والفقه وأنا مقل فجاء أبى(١) يوما وأنا عنــد أبى حنيفة فقال : يا بنى لا تمدن رجلك مع أبى حنيفة ، فان خبزه مشــوى وأنت محتــاج الى المعاش ، فآثرت طاعة أبى فتفقدنى أبو حنيفة فجعلت أتعاهد مجلسه. فلما أتيت دفع الى مائة درهم وقال لى : الزم الحلقــة فاذا نفدت هــذه فأعلمنى ، ثم دفع الى بعــد مدة يسيرة مائة أخرى ثم كان يتعاهدنى . وحكى ان أمه هى التى أنكرت عليه وان أباه مات وهو صغير وأنها أسلمته عند قصار . فالله أعلم .

ثناء الأئمة على أبى يوسف

ذكر أســد بن الفرات عن محمد بن الحسن قال : مرض أبو يوسف فعاده أبو حنيفة فلما خرج قال : ان يمت هــذا الفتى فهو أعلم من عليها وأومأ الى الأرض . عباس الدورى سمعت أحمد بن حنبل يقول : أول ما كتبت الحديث اختلفت الى أبى يوسف القاضى فكتبت عنه ، ثم اختلفت بعــد الى الناس . قال وكان أبو يوســف أميــل الينــا من أبى حنيفة ومحمد . ابراهيم بن أبى داود البرلسى : سمعت يحيى بن معين يقول : ما رأيت فى أصحاب الرأى أثبت فى الحديث ولا أحفظ ولا أصح رواية من أبى يوسف . وأبو حنيفة صــدوق غير أن فى حديثه ما فى حــديث المشــايخ – يعنى من الغلط(٢) – . عباس الدورى ، سمعت ابن معين يقول : أبو يوسف صــاحب حديث صــاحب ســنة . محمد بن سماعة ،

---

(١) وهو الصحيح وليست أمه صــاحبة الحكاية وان ذكر الخطيب ذلك لأن فى ســنده محمد بن الحسن النقاش وهــو كذاب . وحكاية الفالوذج فى روايته ما هى الا حكاية سمر ، ولذا أشار الذهبى الى تضعيف حكاية أمه بقوله فيما بعد « وحكى أن أمه ... » . (ز) .

(٢) هذا التفسير من الذهبى ينافى ما فى باقى الروايات عن ابن معين من أنه ما كان يروى الا ما يحفظه ، وقد عرف تشــدده فى الرواية بحيث لا يبيح للراوى أن يروى الا ما استمر على حفظه من آن التحمل الى آن الأداء ، الا أنه كان يجيز الرواية بالمعنى للحافظ الفقيه ، وكان ربما يروى فى مجلس تفقيهه الحديث مختصراً على المعنى أو يرســل المسند فيما هو معروف لأصحابه المتفقهين عليه فى مجلســه كما هو شــأن مجالس التفقيه بخلاف مجالس الرواية المجردة ، وليس هذا من الغلط فى شىء . (ز) .

عن يحيى بن خالد قال : قدم علينا أبو يوسف واقل ما فيه الفقه ؛ وقد ملأ بفقهه ما بين الخافقين . بشر بن الوليد سمعت ابا يوسف يقول ، سألنى الأعمش عن مسألة فأجبته عنها ، فقال لى : من اين قلت هذا ؟ قلت : لحديث حدثتناه انت . فقال : يا يعقوب انى لأحفظ هذا الحديث قبل أن يجتمع ابواك فما عرفت تأويله الا الآن . ابن الثلجى ، سمعت عبد الله بن داود الخريبى يقول : كان أبو يوسف قد اطلع على الفقه او العلم اطلاعا يتناوله كيف يشاء . عمرو بن محمد الناقد قال : ما احب ان اروى عن احد من أصحاب الراى الا عن أبى يوسف فانه كان صاحب سنة . يحيى بن يحيى النيسابورى سمعت ابا يوسف يقول عند وفاته : كل ما افتيت به فقد رجعت عنه الا ما وافق الكتاب والسنة(١) . حنبل سمعت احمد بن حنبل يقول : ابو يوسف كان منصفاً فى الحديث. قال الفلاس : ابو يوسف صدوق كثير الغلط(٢) . ابراهيم بن اسحاق الزهرى ، ثنا بشر المريسى ، سمعت ابا يوسف يقول : صحبت ابا حنيفة سبع عشرة سنة ، ثم رتعت فى الدنيا سبع عشرة سنة وانى اظن ان اجلى قد قرب فما عبر يسير حتى مات . ابن كاس ، ثنا احمد بن عمار بن ابى مالك ، سمعت ابى يقول : لم يكن فى أصحاب ابى حنيفة مثل ابى يوسف علماً وفقهاً ومعرفة ، ولولاه لم يذكر ابو حنيفة

---

(١) هذا شأن من يخاف الله سبحانه فى دينه ، لكن ليس معناه انه يعد راجعاً عن كل فتيا بعدها كل من هب ودب مخالفة للكتاب على فهمه ، ولصحيح الخبر فى نظره . وكم من فهم سقيم وتصحيح غير مستقيم والانظار فى هذا وذاك مختلفة . وقول أبى يوسف هذا كقول الشافعى : اذا صح الحديث فهو مذهبى ؛ لأنه ليس بمعنى أن كل ما قال فيه احد انه حديث صحيح آخذ به راجعاً عما قلته من قبل ، بل بمعنى ان الحديث اذا صح بشرطه ووضحت دلالته آخذ به والا اختلط مذهبه . وقد اقاموا النكير على ابى محمد الجوينى حيث حاول أن يؤلف كتاباً يجمع به مسائل صح الحديث فيها فى نظره عازيا اياها الى الشافعى تعويلا منه على هذا القول المحكى عن الشافعى ، وقد استبان لأهل العلم بالحديث انه كان يصحح أحاديث غير صحيحة ويجعل المسائل المستنبطة منها اقوالا للشافعى فزجروه عن ذلك . (ز) .

(٢) الفلاس متعنت فى أصحاب ابى حنيفة . وأبو يوسف ذكره ابن حبان وغيره بالحفظ والاتقان . (ز) .

ولا ابن أبى ليلى(١) لكنه نشر علمهما . أبو خازم القاضى ، عن بكر العمى ، عن هلال الرأى قال : كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازى وأيام العرب ، وكان أحد علومه الفقه . قال المزنى : كان أبو يوسف أتبعهم للحديث . أحمد بن عطية ، سمعت محمد بن سماعة يقول : كان أبو يوسف يصلى بعد ما ولى القضاء كل يوم مائتى ركعة . عباس ، سمعت يحيى بن معين يقول : كان أبو يوسف يحب أصحاب الحديث ويميل اليهم . عبد الله بن على المدينى ، سمعت أبى يقول : كنا نأتى أبا يوسف لما قدم البصرة سنة ثمانين ومائة فكان يحدث بعشرة أحاديث وعشرة رأى(٢) وأراه قال : ما أجد على أبى يوسف الا حديثه عن هشام ابن عروة فى الحجر(٣) وكان صدوقا .

ومن شمائله

الطحاوى ، نا بكار بن قتيبة ، سمعت أبا الوليد الطيالسى يقول : لما قدم أبو يوسف البصرة مع الرشيد اجتمع أصحاب الرأى وأصحاب الحديث على بابه ، فطلب كل فريق منهم الدخول اليه أولا ، فأشرف عليهم فلم يأذن لفريق منهم وقال : أنا من الفريقين جميعا ولا أقدم فرقة على فرقة ، ولكنى أسأل الفريقين عن مسألة فأيهم أصابوا دخلوا ، ثم قال : رجل مضغ خاتمى هذا حتى هشمه مالى عليه ؟ فاختلف أصحاب الحديث فلم يعجبه قولهم وقال فقيه : عليه قيمته مصوغا ويأخذ الفضة المهشومة الا أن يشاء رب الخاتم أن يمسكه لنفسه ولا شىء على

---

(١) فى هذا الكلام غلو لا يرضاه أبو يوسف نفسه بل لولاهما لما ارتفع لأبى يوسف شأن أصلا . وهو القائل : ما كان فى الدنيا مجلس أجلسه أحب الى من مجلسى أبى حنيفة وابن أبى ليلى فانى ما رأيت فقيهاً أفقه من أبى حنيفة ولا قاضياً خيراً من ابن أبى ليلى . أخرجه الصيمرى بسنده اليه . نعم كان تلميذاً باراً لهما ، فبارك الله فى علمه . (ز) .

(٢) هكذا فى الأصل والأظهر (عشرة آراء) ولعل ورود ذلك بصيغة الافراد هنا من جهة انه مصدر يستوى فيه المثنى والمجموع . (ز) . « ٦ ــ ٦١ » (ز) .

(٣) بل له متابع ، راجع التلخيص الحبير (٢٤٩) وسنن البيهقى

هاشـــمه . فقال ابو يوسف : يدخل أصحاب هذا القول ودخلت معهم فســألة المستملى فأملى حديثا عن الحسن بن صالح وقال : ما أخاف على رجل من شيء خوفى عليـــه من كلامه فى الحسن بن صالح . فوقع لى انه اراد شـعبة فقمت وقلت لا أجلس فى مجلس يعرض فيه بأبى بسطام . ثم خرجت فرجعت الى نفسى فقلت : هـذا قاضى الآفاق ، ووزير أمير المؤمنين وزميله فى حجه وما يضره غضبى ! فرجعت فجلست حتى فرغ المجلس فأقبل على اقبال رجل ما كان له هم غيرى فقال : يا هشـام ــ واذا هو يعنيى لأنى كنت عنـده ببغداد ــ : والله ما اردت بأبى بسطام ســوءاً ولهو فى قلبى اكبر منه فى قلبك فيما ارى ولكن لا اعلم انى رأيت رجلا مثل الحسن بن صالح . قال بكار : فذكرت هذا لهلال بن يحيى فقال : انا والله الذى اجبت أبا يوسف عن الخاتم . ابن الثلجى ، سمعت الحسن بن ابى مالك يقول : قال ابو يوسف : لو استطعت ان اشـاطركم ما فى قلبى من العلم لفعلت . وسمعته يقول : مرضت مرضا نسيت فيــه كل ما كنت أحفظه حتى القرآن ، ولم أنس الفقه لأن علمى بما ســوى الفقه علم حفظ وعلمى بالفقه علم هداية كرجل غاب عن بلده مدة ثم قدم افتراه يغيب عن طريق منزله ؟. عن هلال الرأى سمعت أبا يوسف يقول : مخاشنة الولاة ذل ومخاشـنة القضـاة فقر . وسمعته يقول فى كتاب الصك ــ يعنى الأسجال ــ ونحوه : لا أقل من عشرة شـهود ، اثنـان بموتان ، واثنان يغيبان ، واثنان لا يؤديان ، واثنان يثبتان يزوران . محمـد بن شجاع سمعت الحسن بن أبى مالك سمعت أبا يوسف يقول : القرآن كلام الله ومن قال : كيف ولم ؟ وتعاطى مراء ومجادلة استوجب الحبس والضرب المبرح . وسمعته يقول : لا يفلح من استحلى شـيئا من الكلام . وسمعته يقـول : لا يصـلى خلف من قال القرآن مخلوق . ابراهيم بن الجراح سمعت أبا يوسف يقول : كان أبو العباس ــ يعنى السفاح ــ قد اشخص العلماء فكنا نسمع تلك الأيام . على بن الجعد ، سمعت أبا يوسف يقول : من قال ايمانى كايمان جبريل فهو صاحب بدعة . أحمد بن ابى عمران الفقيه ، حدثنى فرج مولى أبى يوسف قال : رأيت مولاى أبا يوسف اذا

دخل فى القنوت للوتر رفع يديه فى الدعاء ، ان كان فرج ثقة(١) .
أبو خازم القاضى : ثنا الحسن بن موسى قاضى همذان ، ثنا بشر بن الوليد قال : كان أبو يوسف اذا ذكر محمد بن الحسن بن زياد قال : هو عندى كالصيدلانى اذا سأله رجل أن يعطيه ما يطلق بطنه أعطاه ما يمسكه ؛ واذا ذكر بشراً يقول : هو كابرة الرفاء طرفها دقيق وهى سريعة الانكسار ؛ واذا ذكر الحسن بن أبى مالك قال : هو كجمل حمل حملا فى يوم مطير فيذهب مرة هكذا ومرة هكذا ثم يسلم . الطحاوى ، ثنا ابن أبى عمران ، ثنا محمد بن سماعة . عن أبى يوسف قال : قدم علينا ربيعة(٢) بن أبى عبد الرحمن فأتيته فقلت : ما تقول فى عبد بين رجلين اعتقه أحدهما ؟ فقال : العتق باطل . قلت : فان اعتق الآخر ينبغى على قولك ان يكون ايضا باطلا فاذا كان عتق موليه لا يجوز فمن يجوز عتقه فيه ! أبو بكر الخصاف ، حدثنى ابى ، ثنا الحسن بن زياد قال : كنا يوماً بباب أبى يوسف اذ أقبل من دار الرشيد يبتسم فقال : حدثت مسألة فى دار امير المؤمنين وهل أن قاضيا بأرمنية اختصم اليه جاريتان فى جرتين وقد استقتا ماء فوضعتا الجرتين لتستريحا فسقطت جرة على الأخرى فانكسرتا فاختصمتا الى القاضى فقالت كل واحدة منهما سقطت جرة هذه على جرتى وكسرتها . فجعل القاضى ينظر اليهما لا يعرف المدعى منهما من المدعى عليه ، فقال للقيم : أخرهما ! ثم صاحتا واويحتا ! فقال للقيم : اذهب فاشتر لهما جرتين وأرض كلا منهما . فلما كان العشى قال لرجل كان يأنس به : ماذا يقول الناس ويخوضون فيه من أمرنا ؟ قال يقولون : أن القاضى لم يحسن أن يحكم فى جرتين حتى غرمهما ! فقال : سبحان الله أفلا يرضون منى أن احكم فيما احسن واقرم فيما لا احسن ؟! قال أبو يوسف : فقلت يا امير المؤمنين هذا رجل عاقل

---

(١) وعند ابن أبى العوام قال لنا ابن أبى عمران : لم يحدثنا بهذا عن أبى يوسف غير فرج وكان ثقة . فلعله « وكان فرج ثقة » أبو الوفاء . قلت : ومثله فى الجواهر المضية . (ز) .

(٢) هذا شيخ مالك فى الفقه ، لكن من الصعب المقاومة لمناظرة أبى يوسف فى المسائل ، ولذا كان يأبى مالك مناظرته فى مجلس الرشيد كما فى كشف المغطى لابن عساكر . (ز) .

فزد فى أرزاقه للغرامات الف درهم فى كل شـــهر . فقلنا لأبى يوسف : كيف جواب هـــذه المســألة ؟ قال : ان كانتا وضعتا الجرتين فى مستراح للمسلمين فكل واحدة منهما جاعلة جرتها فى حقها غير جانية على صاحبتها، وعلى كل واحـــدة منهما قيمـــة جرة صاحبتها ، وان كانت احداهما فى مســـتراح والاخرى فى غير مستراح فالتى فى غير المستراح جانية على صاحبتها . بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقـــول : من طلب المـــال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب العلم بالكلام تزندق ، ومن طلب غريب الحديث كذب . محمد بن سعد . انى سمعت أبا سليمان الجوزجانى ، سمعت أبا يوسف يقول : دخلت على الرشـــيد وفى يده درتان يقلبهما فقال : يا يعقوب هل رأيت أحسن من هاتين ؟ قلت نعم . قال : وما هو ؟ قلت : الوعاء الذى هما فيه . قال فرمى بهما الى وقال : شأنك بهما . فأخذتهما وقمت . الطحاوى : نا ابن أبى عمران ، نا محمد بن شـــجاع سمعت الحسن بن أبى مالك ، سمعت أبا يوسف فى مرضـــه يقول : والله ما زنيت قط ولا جرت فى حكم ولا أخاف من شيء الا من شيء كان منى : كنت آخـــذ القصص فأقرؤها على الرشـــيد ثم أوقع لأصحابها بحضرته فأخذت قصـــة لنصرانى فى ضيعة بيد الرشـــيد بزعم انه غصبه اياها فدعوت النصرانى وقرأت قصته على الرشـــيد ، فقال : هذه الضيعة لنا ورثناها عن المنصور . فقلت للنصرانى : قد سمعت أفلك بينة ؟ قال : لا ولكن حلفـــه . فقلت : الحلف يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم فحلف وذهب النصرانى ، فأخاف من تركى أن أقعد النصرانى مع أمير المؤمنين مجلس الخصم . على بن الجعد ، سمعت أبا يوسف وســـأله رجل فقال : يذكرون تجيز شـــهادة من يقول ان الله لا يعلم ما يكون حتى يكون ؟ قال : ويحك ! هذا ان تاب والا قتلته . بشر بن الوليد سمعت أبا يوســـف يقول فى مرضـــه : اللهم انك تعلم أنى لم أطأ فرجـــا حراماً وانى لم آكل درهمـــا حراما وأنا أعلم . ابن كاس : ثنـــا أبو عمرو القزوينى ، ثنـــا القاسم بن الحكم العربى ، سمعت أبا يوســـف عنـــد موته يقول : ليتنى مت على ما كنت عليـــه من الفقه ، وانى والله دخلت فى القضـــاء ولم أتعمد جوراً

ولا رفعت خصما على خصم من سلطان ولا سوقة . الطحاوى ، ثنا أحمد بن أبى عمران ، ثنا داود بن وهب ، حدثنى عبد الرحمن القواس — وقيل لم يكن ببغداد أفضل منه — قال : قال لى معروف الكرخى ! ان توفى أبو يوسف فأعلمنى ، فمضيت فاذا أنا بجنازة أبى يوسف فمضيت معها وقلت ان رجعت الى معروف فاتتنى الجنازة ولم يدركها هو ، فلما انصرفت أتيته وقلت : لو رجعت اليك لم تدركها ، فاغتم ! فقلت : ما يغمك ؟ قال : انى رأيت فى ليلتى هذه كأنى أدخلت الجنة فرأيت قصراً فقلت : لمن هذا ؟ قال : ليعقوب القاضى . قلت : بأى شيء استحق هذا ؟ قال : بتعليمه العلم وبكثرة وقيعة الناس فيه . قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبى يقول : كان فى أبى يوسف رحمه الله لثغة(١) فكان يحدثنا فيقول : ثنا مطيف بن طيف الحايثى أى مطرف بن طريف الحارثى . قال أبو حسان الزيادى : كان أبو يوسف قاضى الرشيد فاستخلف ولده يوسف وكان يقضى معه ، فلما مات أبو يوسف أقر الرشيد ابنه على القضاء الى أن مات يوسف . الحسن بن حماد سجادة ، سمعت يوسف بن أبى يوسف يقول : وليت القضاء وولى أبى من قبلى فكانت ولايتنا القضاء ثلاثين سنة ما بلينا أن نقضى بين جد وأخ . قال ابن عدى وذكر أبا يوسف(٢) فقال : لا بأس به . وقال أبو حاتم الرازى :

---

(١) ومثل هذه اللثغة مما لا يصبر عليه مثل الرشيد فشواهد الحال تدل على عدم صحة هذا الخبر على أن الراوى عن عبد الله حشوى هالك . (ز) .

(٢) ذكره ببالغ الحفظ ابن الجوزى فى « أخبار الحفاظ » فى عداد المائة الأفذاذ من هذه الأمة المعروفين بقوة الحفظ للغاية حيث كان يملى نحو ستين حديثاً بأسانيده على الرواة بسماع واحد وقبله ابن عبد البر ، وقبله ابن حبان ، وقبله ابن جرير حيث قال فى ذيل المذيل : كان يعرف يحفظ الحديث وكان يحضر المحدث فيحفظ خمسين وستين حديثا — يعنى بسماع واحد — ثم يقوم فيمليها على الناس وكان كثير الحديث . وقال أحمد بن كامل الشجرى فى تاريخ القضاة : لم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلى ابن المدينى فى ثقته فى النقل . (ز) .

يكتب حديثه . وقال أبو عبد الله البخاري(١) : تركوه . وقال أبو حفص الفلاس : صدوق كثير الغلط . قلت : وللقاضي القضاه أبي يوسف رحمه الله ورضي عنه أخبار في السؤدد والكرم والمروءة والجاه العريض والحرمة التامة في العلم والفضل ، وأخبار في الحط عليه بعضها ليس بصحيح أوردها العقيلي(٢) وابن ثابت في تاريخ بغداد وغيرهما . قال علي بن سلمة اللبقي : سمعت يحيى بن يحيى يقول : دخلنا على أبي يوسف وهو مريض بجرجان فقال : اشهدوا أني قد رجعت عن كل ما أفتيت به الناس الا ما في القرآن . واجتمع عليه المسلمون(٣) . قال

---

(١) قال ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » عن البخاري : تركه أبو زرعة وأبو حاتم . قلت : وهذه كلمة كبيرة في شيخ الحفاظ كما أن كلمة البخاري في أبي يوسف الامام المجتهد الحافظ المتقن خارجة عن حد انصاف ولعل كلمة من أبي حاتم في البخاري ثأر معنوي من الله لأبي يوسف والا فلا هذا بمتروك ولا ذاك . (ز) .

(٢) هذا حشوي مجازف ، لم يدع أبا حنيفة ولا أحدا من أصحابه من غير أن يهس أدعه ، ولم يذكر لواحد منهم منقبة واحدة . وقد سود صفحات تراجمهم مما يدل على صعبته نحو أهل الحق . وقد كفى مؤنة الرد عليه روايته ابن الدخيل الصيدلاني في جزء خاص ألفه في مناقب أبي حنيفة . وقد سمعه منه الحكم بن المنذر ومنه سمعه صاحبه ابن عبد البر . وقد دون ابن عبد البر غالب ما في هذا الجزء في « الانتقاء في أخبار الأئمة الثلاثة الفقهاء » فكفى وشفى ، وقد قال الذهبي في الميزان في ترجمة علي بن المديني ، بعد أن ذكر رجلا طعن فيهم العقيلي هذا : « ولو ترك حديث هؤلاء لغلقنا الباب وانقطع الخطاب ولماتت الآثار واستولت الزنادقة ولخرج الدجال ، فما لك عقل يا عقيلي ! أتدري فيمن تتكلم ؟ . . . كأنك لا تدري أن كل واحد من هؤلاء أوثق منك بطبقات » . وأما ابن ثابت فقد آذى نفسه بما صنع وقد كشفت الستار عن منحاه في « تأنيب الخطيب » وله دسائس غريبة في وصم أصحابنا بأسانيد في رجالها الكذابون حتى في نظره ، كما فعل في ترجمة أبي يوسف كأنه تحيل في اباحة جارية للرشيد بصورة يأباها أهل الدين وبتزيد مفضوح مع أن في سند هذه الحكاية عنده محمد بن أبي الأزهر وهو القائل فيه . « كان كذابا قبيح الكذب » . فتبا لمن يستدل بحكاية من يكون كذابا قبيح الكذب حتى في نظره نفسه في جرح امام عظيم مثل أبي يوسف ! (ز) .

(٣) هذه الحكاية مختلفة ومعها ما يدل على الاختلاق ، لأنه ليس من مذهبه قصر الحجة على القرآن والاجماع بل هو ممن يأخذ بالسنة على أنواعها وبالقياس ، ولأنه اتفق أهل العلم بالتاريخ على أنه توفي في =

بشر بن الوليد : توفى أبو يوسف رحمه الله يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة . وقال غيره : فى ربيع الآخر ببغداد وله تسع وستون سنة(١) . يعقوب بن شيبة ، سمعت شجاع بن مخلد يقول : حضرنا جنازة أبى يوسف فقال عباد بن العوام : ينبغى لأهل الاسلام أن يعزى بعضهم بعضاً بأبى يوسف . ومن حديثه ما أخبرنا به احمد بن اسحاق الأبرقوهى سنة خمس وتسعين وستمائة ، أنا المبارك بن أبى الجود ، أنا أحمد بن الطلاية ، أنا أبو القاسم الأنماطى ، أنا أبو طاهر المخلص ، ثنا أبو حامد الحضرمى ، ثنا اسحاق بن أبى اسرائيل ، أنا أبو يوسف ، نا أبو حنيفة ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان ابن بريدة عن أبيه : أن قوم ماعز سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنوه فى دفنه والصلاة عليه فأذن لهم . أخبرنا عبد العزيز بن محمد بن هبة الله العقيلى الحنفى ، أنا يوسف بن خليل ، أنا عبد الخالق بن الصابونى ، وعبد الرحمن بن نصر الله البيع ، قالا : أنا قراتكين بن أسعد ، أنا أبو محمد الجوهرى ، أنا القاضى أبو بكر الأبهرى ، ثنا أبو عروبة الحرانى ، ثنا جدى عمرو بن أبى عمرو ، ثنا أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم ، ثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن

= بغداد لا فى جرجان ، ولأنه روى بعض أصحابه فى مرض موته مسائل عنه أدلتها ليست مقصورة على الكتاب والاجماع ، ولأن فى سندها أحمد بن حفص الجرجانى وهو صاحب مناكير ، على أنه ليس بين أئمة الدين من يفتى مع الجهل بما فى القرآن وبمواطن الاجماع أو يفتى على خلافهما مع العلم بمخالفة فتياه لهما حتى يتصور مثل هذا الرجوع . ولفظ الخطيب يخالف ما هنا مع كونه بطريق أحمد بن حفص عن اللبقى. ولفظ يحيى بن يحيى فى رواية الخطيب « سمعت أبا يوسف القاضى عند وفاته يقول : كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه الا ما وافق كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » ومن من الفقهاء من لا يبادر بالرجوع عن الفتيا — فى جميع أدوار حياته — اذا علم انه خالف الكتاب أو السنة سهواً فى فتياه ؟ (ز) .

(١) هذا على المشهور فى ميلاده ، وأما على ما قاله أبو القاسم السمنانى ، وابن فضل الله العمرى فكانت وفاته وهو ابن تسع وثمانين سنة . والله أعلم . (ز) .

ابن عمر قال : لو وجدت الا مداً لاغتسلت . وبالاسناد ، ثنا ابو يوسف ، ثنا ابو حنيفة عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس انه قال : لا وضوء فى القبلة . أخبرنا أبو الغنائم بن علان ، والمؤمل بن محمد ، ويوسف ابن يعقوب كتابة قالوا : أنا زيد بن الحسن المقرىء ، أنبأ عبد الرحمن ابن رزيق الشيبانى ، أنا أحمد بن على الحافظ ، أنا أبو عمر بن مهدى ، ثنا محمد بن مخلد ، ثنا عبدوس بن بشر الرازى ، ثنا أبو يوسف القاضى ، ثنا أبو حنيفة ، عن نافع عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من اتى الجمعة فليغتسل » . اخبرنا اسماعيل ابن عبد الرحمن ، أنا أبو القاسم بن صصرى ، أنا على بن سرور الخشاب، أنا الحسن بن أحمد بن محمد بن ابى الحديد سنة ثمانين وأربعمائة ، أنا المسدد بن على الأملوكى ، ثنا اسماعيل بن القاسم الحلبى بحمص سنة سبعين وثلثمائة ، ثنا يحيى بن على بن هاشم الكندى ، ثنا جدى لأمى وهو محمد بن ابراهيم بن أبى سكينة الحلبى ، ثنا أبو يوسف عن اسماعيل بن ابى خالد ، عن قيس ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله علماً فعلمه وقضى به » . والحمد لله رب العالمين .

* * *

ترجمة الامام محمـد بن الحسن الشيباني

للامام الحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى

المتوفى سنة ٧٤٨ قدس الله سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

هذه ترجمة الامام محمد بن الحسن الشيباني : هو محمد بن الحسن ابن فرقد الشيباني مولاهم . وقيل محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مروان(١) . كان والده من أهل حرستا ــ قرية مشهورة بظاهر دمشق ــ فقدم العراق في آخر بني أمية ، فولد له محمد بواسط سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، فحمله الى الكوفة فنشأ بها ، وكتب شيئاً من العلم عن أبي حنيفة ، ثم لازم أبا يوسف من بعده حتى برع في الفقه ، وسمع أيضاً من مسعر بن كدام ، ومالك بن مغول ، وعمر بن ذر الهمذاني ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، ومالك بن أنس ولازم مالكا مدة ، وانتهت اليه رياسة الفقه بالعراق بعد أبي يوسف . وتفقه به ائمة(٢) وصنف التصانيف ، وكان من أذكياء العالم . ولي قضاء القضاة للرشيد ، ونال من الجاه والحشمة مالا مزيد عليه . روى عنه الشافعي ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وهشام بن عبيد الله الرازي ، وعلي بن مسلم الطوسي ، وعمرو بن أبي عمرو ، ويحيى بن معين ، ومحمد بن سماعة ، ويحيى بن صالح الوحاظي وآخرون . قال محمد بن سعد : أصله من الجزيرة ، وسكن أبوه الشام ، ثم قدم واسط فولد له محمد بواسط . وسمع كثيراً ، ونظر في الراى فغلب عليه ، نزل بغداد واختلف اليه الناس وسمعوا منه . أحمد بن عطية ، سمعت أبا عبيد يقول : ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد بن الحسن . الربيع بن سليمان،

---

(١) لا تعويل على هذا ولذا أتى بصيغة التمريض في أوله وانما اختلفوا في كونه صليباً في بني شيبان أم غير صليب . وقال عبد الظاهر البغدادي : انه شيباني النسب . (ز) .

(٢) مثل الشافعي ، وأبي عبيد ، وأسد بن الفرات . رحمهم الله (ز).

سمعت الشافعي يقول : لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد ابن الحسن لقلته لفصاحته . ابو بكر بن المنذر ، سمعت المزني يقول : سمعت الشافعي يقول : ما رأيت سمينا أخف روحاً من محمد بن الحسن وما رأيت أفصح منه كنت اذا رأيته يقرأ كأن القرآن نزل بلغته . اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال : قال محمد بن الحسن : بلغني أن داود الطائي كان يسأل عني وعن حالي فاذا أخبر قال ان عاش فسيكون له شأن . ادريس بن يوسف القراطيسي سمعت الشافعي يقول : ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد كأنه عليه نزل . الطحاوي سمعت أحمد بن أبي داود المكي ، سمعت حرملة بن يحيى ، سمعت الشافعي يقول : ما سمعت أحداً قط كان اذا تكلم رأيت أن القرآن نزل بلغته غير محمد بن الحسن وقد كتبت عنه حمل بختي . محمد بن اسماعيل الرقي نا الربيع ، نا الشافعي قال : حملت عن محمد بن الحسن حمل بختي كتبا وما ناظرت احداً الا تغير وجهه ما خلا محمد بن الحسن بن أبي حاتم . نا الربيع سمعت الشافعي يقول : حملت عن محمد بن الحسن حمل بختي ليس عليه الا سماعي . احمد بن ابي سريج الرازي ، سمعت الشافعي يقول : انفقت على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً ثم تدبرتها فوضعت الى جنب كل مسألة حديثاً . وعن الشافعي قال : ما ناظرت سمينا أذكى من محمد بن الحسن وقد ناظرته مرة فجعلت أوداجه تنتفخ وازراره تنقطع . عباس بن محمد سمعت ابن معين يقول : كتبت عن محمد بن الحسن « الجامع الصغير » . أبو خازم القاضي ، نا بكر العمي ، سمعت محمد بن سماعة يقول : كان محمد بن الحسن قد انقطع قلبه من فكره في الفقه حتى كان الرجل يسلم عليه فيدعو له محمد فيزيده الرجل في السلام فيزد عليه ذلك الدعاء بعينه الذي ليس من جواب الزيارة في شيء . الطحاوي نا محمد بن شادان ، سمعت الأخفش النحوي يقول : ما وضع شيء لشيء قط يوافق ذلك الا كتاب محمد بن الحسن في الايمان فانه وافق كلام الناس . محمد بن سماعة قال : كان محمد بن الحسن كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :

محســـدون(١) وشر الناس منزلة　　من عاش فى الناس يوماً غير محسود

يونس بن عبد الأعلى سمعت الشـــافعى يقول : قلت لمحمد بن الحسن تقول : ما كان لصـــاحبك أن يتكلم ولا لصـــاحبى أن يسكت(٢) أنشـــدك بالله : هل تعلم أن صاحبى كان عالمـــا بكتاب الله ؟ قال : نعم . قلت : فهل كان عالمـــاً بحديث رســـول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قلت : فهل كان عاقلا ؟ قال : نعم . قلت : فهل كان صـــاحبك جاهلا(٣) بكتاب الله ؟ قال : نعم . وبما جاء عن رسول الله ؟ قال : نعم(٤) قلت : أفكان عاقلا ؟ قال : نعم . قلت لصـــاحبى ثلاث خصـــال لا يستقيم لأحد أن يكون قاضياً الا بهن ، أو كلاماً هذا معنـــاه . ابراهيـــم بن أبى داود

---

(١) وعند الموفق (٢ ـــ ١١) : هم يحسدونى . أبو الوفاء . لكن عنـــد ابن أبى العوام كما هنـــا . (ز) .

(٢) ولفظه فى رواية الهروى فى ذم الكلام : « قد رأيت مالكا وسألته عن أشـــياء فما كان يحل له أن يفتى ... » (ز) .

(٣) هـــذا مما تزيده الخطيب ولم ينتبه اليـــه الذهبى فنقله على لفظ الخطيب ، والدليـــل على ذلك أن شـــواهد الحال تكذبه لأن أبا حنيفـــة لو كان جاهلا فى نظر محمد بن الحسن لمـــا أفنى محمد عمره فى دراسة فقهه وتدوينه ونشره فى الآفاق ، وأن الخطيب ســـاق هـــذا الخبر بطريق يونس بن عبد الأعلى ولفظه عنـــد ابن عبد البر فى الانتقاء (٢٤) من رواية محمد بن الربيع ومحمد بن سفيان عنه قال : قال لى الشافعى : ذاكرت محمد بن الحسن يوما فدار بينى وبينه كلام واختلاف حتى جعلت أنظر الى أوداجه تدر وتنقطع أزراره فكان فيما قلت له يومئذ : نشدتك بالله هل تعلم أن صـــاحبنا ، يعنى مالكا ، كان عالمـــاً بكتاب الله ؟ قال : اللهم نعم . قلت : وعالمـــاً باختلاف أصحاب رسول الله ؟ قال : اللهم نعم . هنا انتهى لفظ الرواية عنـــد ابن عبد البر وأين هـــذا من لفظ الخطيب مع أنهما مسوقان بطريق يونس بن عبد الأعلى وليس فى لفظ ابن عبد البر وصف أبى حنيفة بجهل الكتاب والســـنة فيكون وصـــفه بهما من كيس الخطيب ـــ ثم ختم الخطيب الرواية بقوله « أو كلاما هذا معناه » ليتسنى له أن يقول عنـــد فضح دسيسه باللفظ المحفوظ عن يونس انى ما ادعيت أن هـــذا لفظ يونس بل قلت ان هـــذا معنى كلام يونس . فانظر الى هذه الخيانة المكشـــوفة من الخطيب . ! (ز) .

(٤) وفى الحكاية اضطراب عظيم على اختلاف رواتها ، فدونك لفظ ابن عبد البر فى الانتقاء ولفظ أبى اسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء ، =

البرلسي ، سمعت يحيى بن صالح الوحاظى يقول : حججت مع محمد ابن الحسن فقلت له حدثني بكتابك فى كذا من الفقه فقال ما أنشط له . فقلت أنا أقرؤه عليك ، فقال لى أيهما اخف عندك على قراءتى عليك أو قراءتك على قلت قراءتى عليك قال لا بل قراءتى أخف لأنى انما أستعمل فيها بصرى ولسانى ، وقراءتك أستعمل فيها بصرى وذهنى وسمعى . سليمان بن شعيب الكيسانى ، ثنا أبى ، سمعت محمد بن الحسن قال : اذا اختلف فى مسألة فحرم فقيه وأحل آخر وكلاهما يسعه أن يجتهد فالصواب عند الله واحد حلال أو حرام ولا يكون عنده حلال وحرام وهو شيء واحد فأما أن يقول قائل قد أحل فقيه وحرم فقيه فى فرج واحد وكلاهما صواب عند الله فهذا ما لا ينبغى أن يتكلم به ولكن الصواب عند الله واحد وقد أدى القوم ما كلفوا به حين اجتهدوا ووسعهم ما فعلوا وهذا قول أبى حنيفة وأبى يوسف وقولنا . أحمد بن أبى عمران سمعت محمد بن شجاع يقول على انحرافه عن محمد بن الحسن : ما وضع فى الاسلام كتاب فى الفقه مثل جامع محمد بن الحسن الكبير . محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم وغيره ثنا الشافعى قال : قال محمد بن الحسن : أقمت على [باب] مالك ثلاث سنين وسمعت منه لفظا سبعمائة حديث ونيفاً(١) ثم قال الشافعى كان محمد بن الحسن اذا حدثهم عن مالك امتلأ منزله وكثروا حتى يضيق بهم الموضع واذا حدث عن غير مالك لم يأته الا اليسير فكان يقول ما أعلم أحداً أسوأ ثناء على أصحابه

=

ولفظ الهروى المجسم فى ذم الكلام ، ولفظ ابن الجوزى فى مناقب أحمد ولفظ الخطيب المنقول هنا تجدها فى غاية الاضطراب لفظاً ومعنى كما توسعت فى بيان ذلك بعض توسع فى تأنيب الخطيب (١٨١ ــ ١٨٢) ولو كان رأى محمد فى أبى حنيفة كما يريد أن يصوره الخطيب لما أفنى محمد بن الحسن عمره فى فقه أبى حنيفة ولا سلك فى كتابه « الحجة على أهل المدينة » هذا المسلك المشهود (ز) .

(١) لفظ الخطيب « أكثر من سبعمائة حديث » وليس فيه لفظ « نيف » ، ولفظ ابن أبى العوام « سمعت منه سبعمائة حديث ونيفاً لفظاً » وكذلك هو فى الجواهر للقرنبى . أبو الوفاء .

منكم اذا حدثتكم عن [مالك ملأتم على الموضـع واذا حـدثتكم عن](١) أصحابكم انما تأتون متكارهين(٢) . الطحاوى سمعت أحمد بن أبى عمران يقول : قال محمد بن سماعة : سمعت محمد بن الحسن يقول : هـذا الكتاب ـ يعنى كتاب الحيل ـ ليس من كتبنـا انما ألقى فيها . قال ابن أبى عمران انما وضعه(٣) اسماعيل بن حما بن أبى حنيفة . الطحاوى نا يونس بن عبد الأعلى قال : قال الشـافعى : كان محمد بن الحسن اذا قعد للمناظرة للفقه أقعـد معه رجلا حكما بينه وبين من يناظره فيقول لهذا زدت ولهذا نقصت فقيل كان ذلك الرجل عيسى بن مروان . موسى ابن نصير ، عن هشـام بن عبيد الله الرازى ، قال : خرجنـا مع محمد ابن الحسن من المدينة فلما اتى ذا الحليفة نزلنـا معه وذلك قبيل الظهر فتنحى عنـا أظنـه لوضوئه وغسـله ثم لبس ازاراً ورداء وحضرت الظهر فمشى ومشينا معـه حتى أتى مسجدها فصلى بنـا الظهر ركعتين ولبى ولبينا معه وقرن بين الحج والعمرة ثم مضى الى رحله وهو يلبى وكان قد سـاق هديه من المدينة ، فلما احرم ولبى أمر الجمال فأشـعر هديه وهى بدنة بسكين ومحمـد قائم ينظر اليه حتى أشـعرها من الجانب الأيسر فوق الكتف فى أصـل مقـدم السـنام أسفل السـنام حتى أظهر الدم وجللها . ابراهيم الحربى سـألت أحمد بن حنبل وقلت : هذه المسـائل الدقيقة من أين لك ؟ قال : من كتب محمد بن الحسن . أبو عروبة حدثنى عمرو بن أبى عمرو قال محمد بن الحسن : خلف أبى ثلاثين الف درهم فانفقت خمسة عشر الفـاً على النحو والشعر ، وخمسة عشر الفاً على

---

(١) زيادة من كتاب ابن أبى العوام . أبو الوفاء .

(٢) وعذرهم أن رواة أحاديث العراق من الكثرة بحيث لا يخاف على ضياع شيء منها بخلاف حديث مالك بالعراق بعد موته فان روايته انحصرت هناك فى مثل الامام محمد بن الحسن ، فالحرص على حديثه والحالة هذه ليس بموضع للمؤاخـذة . (ز) .

(٣) ربما يكون لاسماعيل كتاب فى المخارج والحيل فيما لم نطلع عليه لكن الكتاب الذى محوى كل زيغ فى الحيل انما هو رواية الكذاب ابن الكذاب محمد بن الحسـين بن حميـد بن محمـد بن بشر الرقى عن خلف بن بيان رواية مجهـول عن مجهـول . نسـال الله السـلامة . (ز) .

الحديث والفقه . ابن سماعة قال محمد بن الحسن لأهله لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا فتشغلوا قلبي وخذوا ما تحتاجون اليه من وكيلي(١) فانه أفرغ لقلبي وأقل لهمي . ابن كاس النخعي ، ثنا أحمد بن حماد بن سفيان ، ثنا الربيع بن سليمان ، سمعت الشافعي يقول : ما رأيت أعقل ولا أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أحسن نطقا وايرادا من من محمد بن الحسن . قلت : لم يرو هذا عن الربيع الا أحمد بن حماد وهو قول منكر(٢) .

ذكر توليته قضاء الرقة(٣)

أبو خازم القاضي ، عن بكر بن محمد العمي ، عن محمد بن سماعة قال : كان سبب مخالطة محمد بن الحسن السلطان أن أبا يوسف القاضي شوور في رجل يولى قضاء الرقة فقال لهم ما أعرف لكم رجلا يصلح غير محمد بن الحسن فان شئتم فاطلبوه من الكوفة قال فأشخصوه .

---

(١) ومن الحكايات الطريفة في هذا الباب ما ذكره الخطابي في « العزلة » وان لم يصح سنداً : « حدثني الحسين بن اسماعيل الفقيه قال بلغني أن محمد بن الحسن رحمة الله عليه لما أخذ تصنيف « الجامع الكبير » خلا في سرداب وأمر أهله أن يراعوا وقت غدائه ووضوئه فيقدموا اليه حاجته منهما وأن يؤخذ من شعره اذا طال وأن ينظف ثوبه اذا اتسخ وأن لا يوردوا عليه شيئاً يشتغل به خاطره وأقام في ماله وكيلا وفوض اليه أمره ثم أقبل على تصنيف الكتاب ولم يشعر الا برجل ينزل اليه حتى وقف بين يديه فأنكره فقال : من أنت ؟ قال : أنا صاحب الدار . قال وكيف ذاك ؟ قال : لأني قد ابتعت هذه الدار من فلان ، يعني وكيله ، وكان وكيله عن تفويض فاحتاج الى الانتقال » . (ز) .

(٢) لا وجه لقول الذهبي هذا لأن ابن كاس ثقة وأحمد بن حماد ابن سفيان وثقه الخطيب (٤ — ١٢٤) على تعنته ، وقال الدارقطني : لا بأس به . ولم ينقل فيه جرح . وللخبر شواهد عديدة فلا يكون كلام الذهبي متمشياً مع قواعد النقد . نسأل الله الصون . (ز) .

(٣) بفتح الراء والقاف المشددة مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي . طول الرقة أربع وستون درجة وعرضها ست وثلاثون درجة في الاقليم الرابع ، ويقال لها الرقة البيضاء . واصل الرقة في اللغة كل أرض الى جنب واد ينبسط عليها الماء . معجم البلدان . أبو الوفاء .

فلما قدم جاء الى أبى يوسف فقال : لمـاذا اشخصت ؟ قال : شاورونى فى قاض للرقة فأشرت بك واردت بذلك معنى أن الله قد بث علمنا هـذا بالكوفة والبصرة وجميع المشرق فأحببت أن تكون بهذه الناحية ليبث الله علمنا بك وبما بعدها من الشامات . فقال : سبحان الله ! أما كان لى فى نفسى من المنزلة ما أخبر بالمعنى الذى من أجله أشخص ! فقال : هم أشخصوك . ثم أمره بالركوب فركبا ودخلا على يحيى بن خالد بن برمك فقال ليحيى : هذا محمد فشأنكم به فلم يزل يخوف محمـداً حتى ولى قضاء الرقة وكان ذلك سبب فسـاد الحال(١) بين أبى يوسف ومحمد ابن الحسن . قال الطحاوى : سمعت أحمـد بن أبى عمران يقول : سمعت الطبرى(٢) يقول : قال لى حميد أبو العباس وكان من كبار أصحاب محمد ابن الحسن كانت الحلقة فى المسـجد يوم الجمعة ببغداد لبشر بن الوليد، فلم يزل كذلك ونحن نجالسه [فيها] حتى قـدم محمـد بن الحسن [علينا] فأتيناه فكنا نتعلم منه مسـائله هذه ثم نأتى بشر بن الوليد فنسـأله عنها فنؤذيه بذلك فلما كثر ذلك عليـه تركـنـا الحلقة . قال ابن أبى عمران : فسمعت محمد بن الحسن بن أبى مالك يقول : رأيت بشر بن الوليد عنـد أبى فنال من محمد بن الحسن فقال له أبى : لا تفعل يا أبا الوليد ! ثم قال له هـذا محمد قد صـار له فى يد الناس ما صار

---

(١) هذا هو سبب الجفوة الحادثة بينهما وليس فى ذلك شيء يلام عليه أحدهما ، وأما ما ذكره السرخسى فى أول شرح السير الكبير فأسطورة علقت بذهنـه فى الصغر من أحـد كتب السمر وأملاها فى الجب على تلاميذه وهو بعيـد عن كتبه . وفى الأسطورة نفسها ما ينقضها من نواح لأن محمد بن الحسن لم يكن ببغداد الى هـذا الاشخاص فلا يمكن أن يغار على كثرة جماعة محمد فى العاصمة ، ولا سيما أن الأستاذ لا يغار على نجاح تلميذه بل يفخر به ، وكان تعيينه لقضـاء الرقة وهى العاصمة الصيفية للخلفـاء وفى ذلك غاية التقريب منهم لا لقضـاء مصر كما فى الأسطورة حتى يتصور قصـد اقصائه من مجالس الخلفاء الى غير ذلك من وجوه تدل على بطلان الأسـطورة كما ذكرت ذلك فى « بلوغ الأمانى فى سـيرة الامام محمد بن الحسن الشيبانى » . (ز) .

(٢) هو محمد بن عبـد الرحمن بن بكر الطبرى كمـا فى كتـاب ابن أبى العوام فى خبر آخر حيث قال : حدثنى أحمد بن محمد بن سلامة =

من هذه الكتب فنرضى منك أن تتولى لنا وضع سؤال مسألة وقد أعفاك الله من جوابها . وعن الحسن بن أبى مالك وذكر مسائل محمد بن الحسن فقال : لم يكن أبو يوسف يدقق هذا التدقيق الشديد . الطحاوى ، نا محمد بن الحسن بن مرداس ، سمعت محمد بن شجاع يقول : مثل محمد بن الحسن فى الجامع الكبير كرجل بنى داراً فكان كلما على بنى مرقاة يرقى منها الى ما علاه من الدار حتى استتم بناءها كذلك ثم نزل عنها وهدم مراقيها ثم قال للناس شأنكم فاصعدوا . الطحاوى نا أبى محمد بن سلامة ، سمعت محمد بن على بن معبد بن شداد سمعت أبى قدمت الرقة ومحمد بن الحسن قاض عليها فأتيت بابه فاستأذنت عليه فحجبت عنه فانصرفت وأقمت بالرقة مدة لا آتيه ، فبينما أنا فى يوم فى الطريق اذا به(١) على دابته بهيئة القضاء . فلما رآنى أقبل على واستبطانى ووكل بى من يصيرنى الى الدار فلما جلس(٢) أدخلت عليه فقال لى : ما الذى خلفك عنى(٣) فقد بلغنى أنك ههنا ؟ قلت : أتيتك فحجبت(٤) فساءه ذلك(٥) وقال : من حجبك(٦) ؟! فظننت

= قال : حدثنى أحمد بن أبى عمران قال : حدثنى محمد بن عبد الرحمن ابن بكر الطبرى قال : سمعت معلى بن منصور يقول : لقينى أبو يوسف بهيئة القضاء فقال لى : يا معلى من تلزم اليوم ؟ قلت : محمد بن الحسن. قال : الزمه فانه أعلم الناس . قال : ثم لقينى بعد ذلك فقال لى : يا معلى من تلزم اليوم ؟ قلت : محمد بن الحسن . قال : الزمه فانه من أعلم الناس فحطه من المرتبة الأولى الى الثانية . أبو الوفاء .

(١) وفى كتاب ابن أبى العوام « فى بعض طرقاتها اذ أقبل محمد ابن الحسن على دابته » . أبو الوفاء .

(٢) وفى كتاب ابن ابى العوام « الى منزله فلما جلس فى منزله » . أبو الوفاء .

(٣) وفيه زيادة « منذ قدمت » . أبو الوفاء .

(٤) وفيه « فقلت له : أتيت منزلك فحجبت عنك ، وانما أتيتك كما كنت آتيك وأنت غير قاض » . أبو الوفاء .

(٥) وفيه زيادة « وغمه » . أبو الوفاء .

(٦) وفيه « فقال لى : أى حجابى حجبك ؟! فظننت انه يريد عقوبته » . أبو الوفاء .

أنه يريد عقوبة الحاجب فلم أخبره به . فقال لى : فاذا لم تفعل أنحيهم كلهم(١) ودعاهم وقال : لا يد لكم على أبى محمد فى حجبه عنى . ثم(٢) كنت آتيه حتى أصل الى الستر فاتنحنح وأسلم فيقول ادخل(٣) .

أنبأنى المسلم بن محمد القيسى وغيره ، أن أبا اليمن اللغوى ، أخبرهم أنا عبد الرحمن بن محمد ، أنا أحمد بن(٤) على الحافظ ، أنا ابن رزقويه ، أنا ابن السماك ، ثنا محمد بن اسماعيل التمار ، حدثنى أحمد بن خالد :

---

(١) وفيه زيادة « فقلت له : اذن تظلم من لم يحجبنى ! فدعاهم جميعاً وقال لهم » . أبو الوفاء .

(٢) وفيه زيادة « ثم التفت الى فقال : اذا جئت الينا فلا يكون بينى بينك الا الستر الذى يستر الناس عنى فتنحنح حينئذ أو سلم فان كنت على حال يتهيأ لك الدخول فيها أذنت لك بنفسى وان كنت على غير ذلك امسكت فتنصرف . فكنت آتيه بعد ذلك والناس على بابه فأتخطاهم وأتخطى حجابه حتى أصل الى ستره » . أبو الوفاء .

(٣) وفيه زيادة « يا أبا محمد أو يمسك فأنصرف » . أبو الوفاء .

(٤) هذا هو الخطيب البغدادى : تناوله المسكر فى معجم الأدباء لياقوت من رواية الحافظ عبد العزيز النخشى ، وافتتانه بالولدان وتغزله فيهم وأهواؤه القاصمة لظهره الكاشفة استره فى عدة كتب لابن الجوزى ولسبطه وفى السهم المصيب للملك المعظم عيسى الأيوبى وغيرها ، وقد حاسبناه على افتراءاته على الامام الأعظم فقيه الملة أبى حنيفة النعمان فى « تأنيب الخطيب » وعلى نهشه لأعراض أبى يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهما بأدلة ظاهرة . تراه يكثر من الرواية عن ابن رزقويه بالروم والزكائب بعد أن عمى وهرم ولا يفعل مثل ذلك الا من هانت عليه مخادعة المسلمين وابو عمرو بن السماك عثمان بن أحمد الدقاق فى السد رواية الفضائح بأسانيد مظلمة حتى عند الذهبى ، والتمار مجهول الصفة غير موثق وان ترجم له فى تاريخ الخطيب ، وأحمد بن خالد الكرمانى مجهول ، والحكاية مكذوبة على الشافعى وهو على قوة حجاجه ليس ممن يلجأ الى تقويل من يرد عليه ما لم يقله . ومن الغريب أنهم يروون مرة أن محمد بن الحسن كان يفضل مالكا على أبى حنيفة فى العلم وأخرى يزعمون أن محمداً كان يقول عن مالك انه ما كان يحل له أن يفتى ويستاؤون من رده على مالك بأدلة ناهضة فى كتاب « الحجة على أهل المدينة » فيحاولون أن يجعلوه يرد بذلك على أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويذكرون قبر النبى عليه الصلاة والسلام ودار الوحى تقطيعاً للرد على من غلط من فقهاء المدينة ، وما دخل أهل البيت ودار الوحى والقبر المعطر فى باب الرد على مالك وبعض شيوخه ؟ فلا يكون الجواب عن ردود محمد بن الحسن هكذا بل بقرع الحجة بالحجة . وقد أساء

=

سمعت المقدمي بالبصرة قال الشافعي : لم يزل محمد بن الحسن عندى عظيما أنفقت على كتبه ستين ديناراً حتى جمعنى وأياه مجلس هارون فقال : يا أمير المؤمنين ان أهل المدينة خالفوا كتاب الله وأحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع المسلمين . فأخذنى ما قدم وما حدث فقلت : أراك قد قصدت أهل بيت النبوة وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم عمدت تهجوهم . حنبل بن اسحاق ، سمعت أحمد ابن حنبل يقول : كان أبو يوسف منصفاً فى الحديث ، فأما أبو حنيفة ومحمد بن الحسن فكانا مخالفين للأثر(١) . وقال الدارقطنى : لا يستحق محمد عندى الترك(٢) . وقال النسائى حديثه ضعيف . وأما الشافعى رحمه الله فاحتج بمحمد بن الحسن فى الحديث . أخبرنا على بن أحمد

=

الى الشافعى من اختلق هذه الحكاية . وقد صح بطرق تفقه الشافعى على محمد وحمله عنه حمل بختى من العلم وليست هذه المهاترة شأن التلميذ مع أستاذه بل شأن من يبيح الغلبة بأى طريق كانت وحاشا الشافعى من مثل ذلك ، على أن رد الشافعى على مالك المدون فى الأم أقسى بكثير من رد محمد بن الحسن على مالك فى الحجة . والله سبحانه يتولى هدانا . (ز) .

(١) شروط قبول الأخبار مما يختلف فى نظر المجتهدين فما يقبل هذا قد يرد ذاك لعدم استكماله لشروط قبول الخبر عنده ، وما من امام الا وعنده أشياء من هذا القبيل فلا يكون هذا من الجرح المؤثر فى شيء . (ز) .

(٢) والدارقطنى على طول لسانه فى أبى حنيفة وأصحابه بما يجاوز الحد حداً تحت تأثير خلافه لهم فى مسائل اعتقادية خطرة خلا خلافه لهم فى الفروع يقول فى « غرائب مالك » عند الكلام فى رواية الرفع عند الركوع « حدث به عشرون نفراً من الثقات الحفاظ منهم محمد بن الحسن الشيبانى ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الله بن المبارك ، وعبد الرحمن ابن مهدى ، وابن وهب وغيرهم . هكذا ترى الدارقطنى يذكر محمد بن الحسن فى مقدمة هؤلاء الحفاظ الثقات وهذا شهادة منه بأنه حافظ ثقة فيكون أعمى بين عور من يقول فيمن يفضل محمداً فى الحفظ فى نظره انه أعور بين عميان . وقد وثقه أيضاً ابن المدينى كما فى « تعجيل المنفعة » لابن حجر وغيره . وقال الذهبى فى الميزان : « كان محمد بن الحسن من بحور العلم والفقه قويا فى مالك » . فاذا كان قوياً فيمن سمع منه عرضاً فكيف لا يكون قوياً فى شيخه الذى أفنى عمره فى تمحيص علومه ورواياته . والله أعلم وله الحمد فى الآخرة والأولى . (ز) .

الحافظ وغيره قالوا : اذا الحسين بن أبى بكر الحنبلى . ح وأنا احمد ابن عبد المنعم القزوينى ، أنا محمد بن سعيد الصوفى ، أنا طاهر بن محمد المقدسى ، أنا مكى بن منصور ، أنا أحمد بن الحسن القاضى ، ثنا محمد بن يعقوب ، أنا الربيع بن سليمان ، أنا محمد بن ادريس الشافعى أنا محمد بن الحسن . أنا قيس بن الربيع عن أبان بن تغلب عن الحسن ابن ميمون عن عبد الله بن عبد الله مولى بنى هاشم عن أبى الجنوب الأسدى قال : قال على رضى الله عنه : من كان له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا . ويحكى عن محمد بن الحسن ذكاء مفرط وعقل تام وسودد وكثرة تلاوة . قال الطحاوى : سمعت أحمد بن أبى عمران يحكى عن بعض أصحاب محمد بن الحسن أن محمدا كان حزبه فى كل يوم وليلة ثلث القرآن . قال أبو خازم القاضى سمعت بكراً العمى يقول : انما أخذ ابن سماعة وعيسى بن أبان الصلاة من محمد بن الحسن . يونس بن عبد الأعلى ، ثنا على بن معبد ، حدثنى الرجل الرازى الذى مات محمد ابن الحسن فى بيته قال : حضرت محمداً وهو يموت فبكى . فقلت له : أتبكى مع العلم ؟ فقال لى : أرأيت ان أوقفنى الله تعالى فقال ما اقدمك الرى الجهاد فى سبيلى أم ابتغاء مرضاتى ماذا أقول ؟ ثم مات رحمه الله . قال أبو حازم عبد الحميد القاضى : لما دفن الرشيد محمد بن الحسن والكسائى — يعنى بالرى — أنشأ يقول :

أسفت على قاضى القضاة محمد   فأذريت دمعى والفؤاد عميد
وأقلقنى موت الكسائى بعده   وكادت بى الأرض الفضاء تميد
هما عالمانا أوديا فتخرما   فما لهما فى العالمين نديد

وقال السيرافى هذه الأبيات ليحيى اليزيدى . وأولها :

تصرمت الدنيا فليس خلود   وما قد ترى من بهجة ستبيد
لكل امرىء كأس من الموت مترع   وما ان لنا الا عليه ورود
الم تر شيباً شاملا ينذر البلى   وأن الشباب الغض ليس يعود
سيأتيك ما أفنى القرون التى خلت   فكن مستعداً فالفناء عتيد

والحمد لله أولا وآخراً

فهرس

مناقب الامام أبى حنيفة النعمان

وصاحبيه أبى يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى

